د. غازي القصيبي

@ketab_n
Twitter: @abdullah_1395
29.4.2012

٢

د. مكّي محمّد سرحان

أدباء خليجيون متميزون

د. مكي محمد سرحان

د. غازي القصيبي

Twitter: @abdullah_1395

د. غازي القصيبي

Twitter: @abdullah_1395

أدباء خليجيون مميّزون - غازي عبدالرحمن القصيبي / دراسة
د. مكي محمد سرحان / مؤلّف من البحرين
الطبعة العربية الأولى ، ١٩٩٨
حقوق الطبع محفوظة

المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، ساقية الجنزير ، بناية برج الكارلتون ،
ص.ب : ٥٤٦٠-١١ ، العنوان البرقي : موكيالي ،
تلفاكس : ٨٠٧٩٠٠ / ٨٠٧٩٠١
التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان، ص.ب : ٩١٥٧ ، هاتف ٥٦٠٥٤٣٢ ، تلفاكس ٥٦٨٥٥٠١
تصميم الغلاف والإشراف الفني :

الصف الضوئي :
ساجدة علي العجوة ، عمّان

All rights reserved. No part of this book may be reproduced , stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطّي مسبق من الناشر .

Twitter: @abdullah_1395

الإهداء

إلى حفيدتي روان

Twitter: @abdullah_1395

Twitter: @abdullah_1395

الفهرس

تقديم بقلم الأستاذ إبراهيم العريّض ٩
المقدمة بقلم المؤلف ١١
١- مولد غازي وطفولته الباكرة ١٣
٢- غازي في المدرسة ١٩
٣- أولى خطوات المجد ٢٧
٤- دراسة نقدية " لكتاب من هم الشعراء الذين يتبعهم الغاوون؟ ".. ٣٩
٥- رواية " شقة الحرية " بين النقد والمضمون ٥٣
٦- عودة القصيبي سائحاً إلى كاليفورنيا ٦٥
ختام في أسطر ٧٩

Twitter: @abdullah_1395

Twitter: @abdullah_1395

تقديم بقلم

الأستاذ إبراهيم العريّض

إضاءة حول مشروع

هذا مشروع كأنّما يتطلّع الأديب المؤرخ الدكتور مكي محمد سرحان لإنجازه لمعالجة " أزمة " فيما يُفهم في المصطلح البحريني بـ " البيت الكبير " الذي يُعرض في تلفزيون البحرين كل شهر رمضان.

هذا البيت الذي نحن أبناؤه وبناته لا سوانا

فالأزمة باختصار تتعلّق بين سؤال وجواب:

فأما السؤال فلم يخطر لأحدنا على بال. ويمكن صوغه في العبارة التالية: ماذا يكون مدى معرفة أحدنا داخل هذا البيت، وهو كفرد صغير فيه لا يتجاوزه؟ أليس هكذا يجب أن يسأل كل ناشيء منا منذ ظهوره بين أترابه لاعباً في ساحته؟

وأما الجواب فطالما تجاهلناه جميعاً وتنكرّنا له. رغم أن صداه المدوي تعالى من أوروبا على لسان الشاعر الألماني جيته، قبل قرنين من الزمان، في كلمته الشهيرة: إذا أردت أن ترى

Twitter: @abdullah_1395

رؤيتك فأصعد إلى السطح وسرّح طرفك في الآفاق حولك!
فهكذا في زمانه كان يؤكد هذا الإنسان لمن يحاوره دائماً وكأنما ردّا على مضمون السؤال.

ولا نزال نحن بين السؤال الذي لا نعيه والجواب الذي لا نهتم به كأس إلا أن صاحب المشروع وجد هنا مجالاً لمشروعه، للأخذ بيدنا والسير بنا معه قدماً، وهو في كل خطوة يخطوها بفيضه الإنساني كأنما يستجلي الحكمة الشرقية القائلة:

دواؤك منك ولا تشعر   وداؤك فيك ولا تبصر
أتحسب أنك جرمٌ صغير   وفيك انطوى العالم الأكبر

لشاعر مجهول قالها قبل أكثر من ألف عام وتصدق على الإنسان الحديث اليوم.

إن الدكتور يستحق كل ثناء على مشروعه الذي وضع أبجديته في حلقات من سلسلة أدبية هي بمثابة درج ينير السبيل أمام الراغبين في الصعود بغية الإطلالة من السطح على ما يحيط بهم والتأويل في الأفق البعيد على امتداده. فهل هم فاعلون؟

جعل اللّه حلم الدكتور حقيقة ورؤياه نافعة على مرّ الأجيال.

إبراهيم العريّض

البحرين ٢٦/٧/٩٧

Twitter: @abdullah_1395

المقدمة

إلى حفيدتي روان...

إلى أبناء جيلنا الصاعد، إلى أجيالنا جيلاً بعد جيل، إلى ناشئة هذا اليوم ورواد غده، إلى طلاب المرحلة الأساسية وسواهم.. اليهم جميعاً وإلى كل قارىء واعٍ.. يطيب لي أن اقدم بكل فخر واعتزاز سلسلة أعلام الفكر الخليجي، تحت عنوان: أدباء خليجيون متميزون.. وأن نضع أمام شبابنا في المدارس والجامعات، نبذة مختصرة من حياة أدباء الخليج، الذين قهروا اليأس زماناً، ومكاناً وتحدوا ظلام الجهل وبددوه بإرادتهم الصلبة، وبعزيمتهم القوية.. فنجحوا بفعل جهودهم البناءة في وعي حياتنا العلمية والثقافية الحديثة، والتي ينعم بها خليجنا من تطور وعزة وكرامة وسؤدد.

فمن حق هؤلاء المفكرين، والشعراء، والشعراء الطالعين - علينا - أن نفتح عيون أبنائنا على صفحات نيرة من حياة هؤلاء العظماء، لنعلمهم تاريخ خليجهم البعيد والقريب، نبني نفوسهم

Twitter: @abdullah_1395

على حب أوطانهم، وننشىء حماسة وإيمان مخلص صادق،تجاه قراءة نضالات عظماء يخلدهم تاريخنا الحديث وكان لمسيرتهم الزاهرة أثر بارز وفعال في تدوينه بأحرف من ذهب خالص، ودرر نقية تحي الأمل وتضيء الطريق للحفاظ على الأرض والوفاء لها والعمل الدؤوب لخيرها وصالحها لاستقراء الماضي المستقر، والحاضر المزدهر واستلهام المستقبل النير.

من هذا المنطلق والحس الوطني والواجب القومي سنكتب ضمن هذه السلسلة عن أكثر من أربعين شخصية خليجية متميزة، بدءاً بشاعر العروبة ابراهيم العريض.. ومن ثم الدكتور غازي عبد الرحمّن القصيبي.. وابراهيم بن محمد الخليفة.. محمد بن عيسى الخليفة.. أحمد محمد الخليفة... الدكتور محمد جابر الأنصاري... الدكتورة سعاد الصباح... عبد اللّه الفرج.. ابن عثيمين... عبد اللّه الطائي... عبد اللّه الزايد.. عبد الرحمن المعاودة.. عبد الحسين الحلي.. محمود المردي... وستظهر- إن شاء اللّه- شخصيات تالية حول عدد آخر من حياة بعض عظمائنا الذين شاركوا بوعيهم في صنع ثقافتنا الوطنية التي تشكل وجداننا الحي وتدفعنا لمزيد من العطاء المثمر .. واللّه الموفق لما فيه الخير والصلاح.

دكتور مكي محمد سرحان

١٠ يوليو عام ١٩٩٧ البحرين

Twitter: @abdullah_1395

(١)

مولد غازي وطفولته الباكرة

هو من نوابع الناشئة الخليجية في عصرنا الحديث، ولد في الهفوف، بمنطقة الإحساء، بالمملكة العربية السعودية، سنة ١٩٤٠ ميلادية، في بيت حزين، فقد توفي جده لوالدته قبل مولده بأشهر عدة، ثم توفيت والدته بعد ولادته بأشهر قليلة، فقامت جدته بأمره وتربيته تربية صالحة...وأبوه عبد الرحمن، من بيت عريق في النسب، ضليع في الأدب، ينحدر من أسرة القصيبي، والتي تعتبر في منزلة نبلاء الخليج..فتربى هذا الطفل في مهد العز والفخار، في كنف والده، الذي عرف بمكانته الاجتماعية الرفيعة.. ورغم أن أباه لم يكن أكبر أشقائه الاربعة، غير انه أشهرهم وأكثرهم صيتاً، وقد كانت له أنشطة تجارية متعدد الجوانب... وأنه كان يعيش في بحبوحةٍ من العيش، ولكنه على الرغم من ذلك لم يكن يوما ما أنانياً لا يشعر بآلام غيره من عامة الناس وخاصتهم، كالغالبية العظمى من الأثرياء، فكان يعطف على الفقراء والمحتاجين، ويفكر مليـاً في أحوالهم المعيشية وما يعانونه من فقر وبؤس.

Twitter: @abdullah_1395

كان عبد الرحمّن، رفيع المنزلة بين رجال الأعمال، وجيها في قومه... وكان رحمه الله مهيباً وقوراً، وديعاً ووفياً لأهله وأصدقائه... ومجلسه كان مجمعاً لأرباب الفضل والعلم والتجارة... وترجع مشاعره الإنسانية إلى عاملين أساسين: العامل الأول استعداده الفطري للبذل والعطاء، والعامل الثاني تمسكه الديني بفضائل العدالة والصدق والعفة.

ونحن في هذا الفصل من الكتاب لايمكننا بحال من الأحوال أن نتحدث بالتفصيل عن الفضائل الإنسانية للوجيه عبد الرحمّن القصيبي، لأن ذلك يستغرق مساحة واسعة..وكشأننا في كتب هذه السلسلة، حاولنا بقدر الإمكان أن نُلَخِّصَ في شيء من التركيز في الوسيلة أو الوسائل التي مكنته من تحقيق أكبر قدر ممكن من السعادة والإستقرار، جراء أعماله الصالحة وحسن مسلكه في حياته.. وباختصار شديد، كان عبد الرحمن، محبوبا من أهله، ومحبوباً من الناس، فوقعت في القلوب هيبته، وانتشرت في الخليج شهرته.

ولعلنا لانغالي إذا قلنا أن كفاءته الإنسانية،كانت في جملة الأسباب، التي مهدت السبيل لأن يشب إبنه " غازي "على الشهامة والكرامة والنيل في أعماله وأقواله ..كانت له آمال تجارية واسعة، ولكنه رغم ذلك اهتم بحسن تنشئة صغيره غازي، وتحبيبه إلى العلم والدراسة منذ أن كان صبياً يافعاً.

Twitter: @abdullah_1395

لم يكن " غازي" وحيد والديه، ولكن منذ نعومة أظفاره، كان أكثر إخوته حباً للعلم وإقبالاً عليه.. فلم يمنعه ثراء أسرته الواسع، ونفوذ أبيه التجاري المطلق، من الإقبال في نهمٍ شديد على التحصيل العلمي والاطلاع الثقافي منذ أن كان صغيراً مراهقاً.

في عام ١٩٤٥- على وجه التقريب - انتقل هذا الصبي مع عائلته الكريمة إلى ربوع البحرين، وهو في سن الخامسة من عمره المديد.. واستقبلته البلاد، و لم تحفل به بادىء الأمر.. وكان ذلك طبيعياً لانها لم تدرك من أن هذا الوافد الصغير، يختلف، جملة وتفصيلاً، عن كل من استقبلتهم من أطفال، و لم تكن تتوقع أنه سيصبح يوماً ما علماً من أعلام الفكر الخليجي، والعربي، والإسلامي في أرجاء العالم المتحضر.

درج الطفل في البحرين في ظل أبويه (والده وجدته)، وتطور في نموه بصورة رائعة، أحسا معها أنهما أمام طفل متميز..تلقى تعليمه الإبتدائي، حيث نما وترعرع، فأظهر الطالب استعداداً عظيماً لتلقي مبادىء قواعد وآداب اللغة العربية، وأصول الدين والحساب وغير ذلك من أبواب العلم والثقافة والمعرفة، وأبدى غازي منذ حداثته استعدادا طيباً للقراءة والكتابة والإنشاء... الخ

كان هذا الطالب، لا يكتفي بحفظ درسه دون أن يتفهم معناه.. بل كان يسأل معلمه دائماً عن خلاصة الدروس التي

Twitter: @abdullah_1395

يحفظها .. وكان قوي الذاكرة سريع الحفظ لا ينسى شيئاً مما يحفظه- شعراً أو نثراً- على الإطلاق ..وأدرك منذ البدء أن "آفه العلم النسيان" كما تقول حكمة عربية، فكان يردد دائماً بينه وبين نفسه أبياتاً من الشعر القديم، أو يقرؤها بصوته الرخيم على اخوته ورفاقه في المدرسة.

وكثيرا ما تحدث الأبوان عن دهشتهما من ذكاء طفلهما واشراقه، وحاجة مثله إلى رعاية معنوية فائقةٍ، لكي تتفتح مواهبه، ولا تصطدم استعداداته الفطرية بمعوقات قد تضعفها أو تقضي عليها.. وكان حديثهما ينتهي بالعزم القوي على هذه الرعاية من قبلهما.. فكان لهذه العناية أثر عميق في اعتماده على نفسه، والصراحة في القول والمجاهرة، فخرج غازي من "مدرسة" والديه، شاباً قوياً، يثق بنفسه، ويبث هذه الروح الطيبة- فيما بعد- بين أهله ومعارفه، يعلن آراءه أو مبادئه بوضوح تام، مؤكداً أنه لن يغيرها أو يتخلى عنها ما دام على الحق.

وهكذا مرت الحياة بيسر، وترعرع الطفل وأدرك ما حوله من عناية واهتمام، وكان عقله أكبر كثيراً من سنه.. أحس ببهجة أبويه به، وعطفهما وحنانهما عليه، فلم ينس أو يتنكر ابداً، فقدر لهما هذا الشعور وتلك التربية الصالحة، وظل طول عمره يكن لهما أعمق الأثر، ويذكرهما بأجمل أبيات شعره، فقد رأى ما يحملان من أعباء اضافية من أجله، وما تتطلبه حياة بقية أفراد الأسرة من رعاية.

Twitter: @abdullah_1395

لذلك حزن " غازي" حزناً كبيراً لوفاة جدته، تلك الأم الرؤوم، فاجتاحت رياح العاطفة الجياشة مرثيتها في قصيدة بعنوان:" أماه" كتبها عام ١٩٦٦، وكان شاباً في السادسة والعشرين من عمره، فتداعى الألم الدفين والحزن المكبوت على أشعاره، حيث قال:

هذي القصيدة يا حبيبة في
حنيني ..لا رثائِكْ
فأنا أحسكِ ..رغم رحلتك
البعيدة في فنائِكْ
وأنا أراكِ وراء دنيا
الموت..أمشي قي ضيائِكْ
وأنا أَضمّكِ مثل أمسِ..
أدس رأسي في ردائِكْ
أشكو إليكِ الدهر.. أمرح
في حنانكِ.. في عطائِكْ
أَبكي فتهرب دمعتي
مني.. وتبحر في بكائِكْ

وفي مرثيته المعنونه " أبي "، تشعل المصاب الجلل في وجدانه عندما أصبح يتيماً بعد وفاة والده.. فيسكب أنغامه

Twitter: @abdullah_1395

الحزينة أبياتاً تتقاطر متسلسله، عام ١٩٧٦، وكأنها جراح تضمها الألحان، فتبقى بذلك شاهد ألمه ومأساته..لأن قضاء الخالق محكم على المخلوق، ولا راد لقضائه، فأترعت القصيدة مصاباً، وتفطرت رثاءً حاراً .. فهذا هو المحك في شعر الرثاء، إذ يبدو الفرق الشاسع بين " الثكلى والأجيرة " :

وفي لحظةٍ يا أبي وصديقي
فقدتك ..عدتُ يتيماً صغيرا
يغالبُ بين الجموع الدموع
ولا يستطيع ..فيبكي كثيرا
وأنت هنالك فوق الرقاب
تلوح كعهدي كبيراً .. كبيرا
مهيباً برغم انطفاء الحياة
رغم انسدال الستار شهيرا

(٢)

غازي في المدرسة

أرسله والـده إلى إحـدى المـدارس الإبتدائيـة، في البحريـن، كمـا يفعـل أقرانـه، وعمـره لم يتجـاوز السـابعة، وكـانت هــذه المـدارس حينئـذٍ تقبـل أبناءهـا بـين السـابعة والثامنـة.. وفي تلـك المدرسـة ظهـرت رغبـة الطفـل غـازي في التحصيــل الدراســي، وتلذذه بالدرس.. فقد حدثنـا بعـض الذيـن عـاصروه في طفولتـه وصباه، أنه كان يقضي ليله ساهراً لا يمل المطالعة.

ويقضي التلميذ بالمدرسـة الابتدائيـة مـدة ست سـنوات – حسب نظام الدراسة في ذلك الوقت، ثـم يخـرج منهـا وقـد نـال الشهادة الابتدائية عام ١٩٥٢، وقد تعلم أساسيات اللغة العربية، واللغة الانجليزية، والعلوم، والحساب، وأجـاد القواعـد والإمـلاء، واكتسب مهارة الخط والقراءة.. وقد سـاعده علـى إتقـان المـواد الدراسية الـتي تعلمهـا، وألم بقـدر غـير يسـير مـن مبـادىء اللغـة الإنجليزية، أنه كان قوي الذاكرة يحفظ الصفحة والصفحات بعد تلاوتها من قبل معلميه، فأثنى الأساتذة على ذكائه واجتهاده.

Twitter: @abdullah_1395

ومن أدلة رغبته في العلم أنه وهو يدرس مادة اللغة العربية في المدرسة الابتدائية، لم يكن يرتوي من شرح المعلم في الفصل، فاتخذ قرار الاستزادة، لينال فيه قصب السبق على أقرانه من التلاميذ، عبر ما كانت تطالعه به الصحف والمجلات من نصوص ودراسات أدبية ليتفكه بها... فرأى نافذة من نور الشعر تلمح لعينيه بين أسطر قراءاته، وخيطاً من أمل يمتد إليه ليمسك به، ولا بد أن الناشئ وقد يهمه جداً أن يعرف " على لسان صاحب الشأن" عن أول بيت شعر قرأه في حياته، حيث يقول : "للأسف الشديد لا أتذكر أول بيت شعر قرأته في حياتي.. ولكني أكاد أجزم أني عثرت عليه مع الأناشيد المدرسية التي كنا نحفظها في الابتدائية .. والتي تلاشت من مناهجنا هذه الأيام .. أعتقد أني مررت بأول بيت شعر مع :

بلاد العرب أوطاني من الشام لبغداد

أو مع :

نحن الشباب لنا الغد ... ...

أو مع :

عليك مني السلام يا أرض أجدادي

وما يزال إلى أيامنا يردد بعض الأناشيد المدرسية - بينه وبين نفسه - التي حفظها في صباه، خاصة عندما تجتاحه ذكرى تلك الأيام الهانئة.. و لم يكن - وقتئذٍ - يحتاج الطفل الصغير في

Twitter: @abdullah_1395

حفظ الأبيات إلاّ إلى الإرادة، فإذا أراد وعزم فثباته وذكاؤه يضمنان سرعة اكتسابه لما يريد .. وقد فعل .

ورأى " عبد الرحمن "، والد الطفل، استعداد إبنه للتحصيل العلمي، فألحقه بالمدرسة الثانوية في المنامة، وفي هذه المدرسة تفتحت مواهبه، ونمت قواه الجسمية وظهرت شخصيته النابغة، وتميزت أهم صفاته الحميدة إذ وجد الشاب في نفسه ميلاً واضحاً قوياً إلى دراسة الأدب، فأقبل على نفسه بكل سرور يغذي هذا الميل وينميه، وصار يقضي ساعات نهاره، ويسهر جل لياليه منكباً على قراءة الكتب والطرائف والنوادر .. يحاول فهم ما يقرأ ويتذوق نصوص ما يحفظ، ودراسة واستيعاب ما أمكن من قواعد النقد والبلاغة المتصلة بالأدب .

وقد عرف هذا الشاب أول طريق المجد، إذ كان يحرص أن يكون في مقدمة المتفوقين من طلاب فصله، وأن يبلغ القمة التي يكافح النابهون من زملائه التلاميذ للوصول إليها .. وساعدت قدراته الذهنية على تفوقه، فقد كانت له موهبة فطرية خصبة في مجال التحصيل العلمي، تسانده هذه الموهبة، ذاكرة حادة، وحافظة قوية، وبراعة في تذوق الكلام، وتمييز صحيحه من سقيمه .

كان صبوراً مكافحاً في طلب المعرفة، يصل الليل بالنهار في الدراسة ليسبق غيره من التلاميذ، كما كان قوي الشعور

Twitter: @abdullah_1395

بشخصيته وكبريائه، يأنف من مواقف الضعف والذلة، ولا يطيقها أبداً أو يصبر عليها لحظة .. وقد ورث عن أبويه أكثر صفاته الحميدة التي لازمته كظله، ورث عن أبيه القناعة بما في يده والصبر عليه، والترفع عما في يد غيره، كما ورث عنه الاتجاه القوي نحو الجد في العمل، والدقة في أدائه، والميل الشديد إلى الضبط والنظام، والبعد كل البعد عن الفوضى والتسامح الذي لا مبرر له .. كما ورث عن أمه (جدته) الصلابة في قهر أهواء النفس، والانصراف بكل جوارحها - رحمها الله - إلى النهوض بواجبها، عاكفة على بيتها وأولادها ولا تضيق صدراً بالأعباء وإن طالت.

ولا شك أن طفلهما غازي، أخذ عنهما أيضاً شيئاً من بذور الصراحة والكبرياء والصرامة في كل أقواله وأفعاله، فنشأ صادقاً واضح المبدأ، عالي الهمة والنبرة، بعيداً عن مذلة اللف والدوران، وعن هوان النفاق والخداع، وقد كلفه هذا النهج من آلام .. حيث نمت حياته وبيئته على رؤية الأشياء مكشوفة ناصعة البياض، ولم يرها قط من خلال الضباب والغيوم السوداء.. ومرت الأيام، والصبي جادٌ كل الجد في تنمية هذه الصفات الحسنة، مهما بلغ الثمن، كما جد في تنمية قدراته الثقافية .. فقد صار يقطع الأوقات الطويلة مع بعض رفاقه من طلاب مدرسة المنامة الثانوية يطارحهم الشعر، وينافسهم في

Twitter: @abdullah_1395

إنشاده وقرضه، ويسوق لهم الكثير من نوادره، ويتيه عليهم نشوة بما استطاع أن ينشيء منه، رغم صغر سنه، وكلهم مشدود إليه لا محالة، مقراً بتفوقه عليهم بدون منازع .. وكانت هذه أولى خطوات المجد على الطريق المستقيم، لينعم بالدفء والراحة والمتعة .

أتم الشاب غازي دراسته الثانوية في البحرين وكان فيها - كما سبق وذكرت لكم - رائعاً متفوقاً، معروفاً ببراعته وبذكائه، وقدرته على التحدي، وقصب السبق، وقد تنبأ له أساتذته بأنه جدير أن يكون من الأدباء المتميزين في مستقبل حياته العملية .. وها هو الآن مقبل على مرحلة جديدة من حياته، فقد بدأت برحلته إلى مدينة القاهرة لإتمام دراسة المرحلة التوجيهية .. لقد أصبح رجلاً في عرف والده، وعليه أن يواجه الغربة ومشاكلها بمفرده ، تماماً، كما يفعل الشباب .

غير أنه يدرك في أعماقه أن الأمر ليس بسيطاً بشكل من الأشكال، إذ يتصور نفسه ضائعاً في غمار البشر، يتصور نفسه وحيداً في مدينة القاهرة بملايينها الثلاثة، كم عدد الأشخاص الذين يعرفهم هناك ؟ عشرة على أكثر تقدير، نقطة في محيط !!

ما أكثر ما يعرف عن القاهرة قبل رؤيتها، شاهدها في الأفلام والصحف، وحدثه عنها الزوار، لم يكن أساتذته المصريون في الابتدائية والثانوية يملون الحديث عن القاهرة ..

Twitter: @abdullah_1395

وتراكمت المعلومات، حديقة الأندلس أجمل حديقة في الشرق الأوسط، جنينة الحيوانات ثاني جنينة في العالم بعد جنينة لندن، وهناك ساعة هائلة من الزهور في القاهرة، ساعة تتكلم، وفي حلوان حديقة يابانية لا يوجد ما يماثلها حتى في اليابان .. المنامة؟ تستطيع أن تضعها في شارع من شوارع السيدة .. البحرين ؟ تستطيع أن تخفيها كلها في شبرا ولا تعثر عليها أبداً .. على أية حال، في عام ١٩٥٧ نال الطالب غازي عبد الرحمّن القصيبي شهادة التوجيهي من المدرسة السعيدية بالقاهرة .. وفي عام ١٩٦١ شهادة الليسانس في الحقوق .. وكان انتقاله من البحرين إلى القاهرة أشبه " بصدمة " حضارية غير متوقعة .. غير أن انتقاله إلى أمريكا لنفس السبب جاءت صدمة أشد عنفاً وقوة .. وهاهو الشاب غازي، ينظر من شباك الطائرة إلى القاهرة، التي بدأت تختفي وراء الأفق، وتنهمر دموع صغيرة كثيرة من عينيه .

والذي يودع الآن القاهرة، ترك شيئاً من حياته في أوتوبيس رقم ٦، وشيئاً في ميدان التحرير، وشيئاً في السعيدية، وشيئاً كثيراً في " شقة الحرية " .. والذي يودع الآن، يفتح روحه ويختزن كل ما يستطيع اختزانه من الأشياء القاهرية، الوجوه، الروائح، المقاهي، الكشري، البقسماط، والبيض المسلوق ... "يا أمه القمر على الباب "، أنت وبس اللي حبيبي"، سور الأزبكية،

Twitter: @abdullah_1395

جزيرة الشاي، كل كبدة ومخ باطمئنان، وقرأ الفاتحة للسلطان، تلمع يابيه ؟ " روزا " " صباح الخير "... " أهرام "... " روزا ". السحلب. هل ستذكرين هذا الفتى الذي سيأخذ معه كل هذه الأشياء إلى نيويورك، عندما تنطبق عليه ناطحات السحاب .

وفي عام ١٩٦٤، يعود الشاب غازي إلى البحرين قادماً من لوس أنجلوس متأبطاً شهادة الماجستير، وبدأ يفكر في الوظيفة التي سيشغلها، وهل ستكون في المرتبة الثالثة أو الرابعة حسب التصنيف القديم (كان هناك أيامها جدل فقهي إداري حول أنواع " الماجستير " انتهى بإعلان " ماجستير " صاحبنا درجة أولى أي تستحق المرتبة الثالثة) .. ورغم ذلك لم ينس مدينة " لوس أنجلوس "، في وسط زحام آماله المستقبلية المتلاطمة، حيث شرع يقول يودعها:

سأكتب عنك يا عملاقتي
الأخاذة الحسناءْ
وعن دنياكِ .. عن سحركِ
وعن شاطئكِ الوضاءْ
عن الطرق التي تغفو
على أوهامها الشقراءْ
وعن ليلك ذاب البدر فيه ..
وجنت الأضواءْ

Twitter: @abdullah_1395

وواصل صاحبنا دراسته في " مـادة العلاقـات الدوليـة " في انجلترا، ونال شهادة الدكتوراه في هذه المادة من جامعة لندن.

Twitter: @abdullah_1395

(٢)

أولى خطوات المجد

ما من شك في أن دراسة تاريخ " أولى خطوات المجد " للفتى غازي عبد الرحمن القصيبي، يهفو إليها السواد الأعظم من الناشئة ، لأن ظهور هذا العبقري في فترة الخمسينات، يعتبر ظاهرة وغيرها عادية، فلقد كرس حياته ومواهبه وطاقات نشاطه العقلي لخدمة الإنسان الخليجي خاصة والعربي عامة.. بل هو عظيمٌ يفني عمره من أجل تحقيق رسالةٍ نيرةٍ، تهدف إلى إسعاد الإنسانية جمعاء.. وعليه، كيف نكتشف أولى خطوات مجده؟ كيف ننميها؟ وما علاقة خطواته الأولى بتجربته الشعرية؟ كل هذه الأسئلة وغيرها سوف يجد القرّاء إجابتها المختصرة الشافية في أسطر هذا الفصل.. فما رأيكم في البدء أن نصغ لهذا الأديب يحدثنا عن بعض جوانب تجربته الشعرية، والتي تعتبر فتحاً جديداً في عالم الثقافة.

فلقد كانت اول قصيدة كتبها الفتى الصغير غازي في حياته " مختلة الأوزان .. ساذجة المعاني ولكنها تبقى بمثابة (درس) على الطريق لا يمكن أن أنساه - حسب تعبيره - مهما

Twitter: @abdullah_1395

طال الزمن.. كنت وقتها على أبواب الثالثة عشرة صبيـاً مبهـوراً يحبو على عتبات مملكة الشعر السحرية، ولا يجرؤ على الدخول".

" وذات ليلة - والحديث لا يزال لأديبنا - شب حريق هائل قرب المدرسة التي كنت أدرس فيها.. وأفقت في الصباح لأجد المنطقة التي كانت مليئة بمئات الأكواخ والمنازل البسيطة وقد أصبحت قاعاً صفصفاً.. تأثرت بما حدث، وجاءت القصيدة على هذه الهيئة " :

يا لهول الـــوزء الـذي ‌‌‌ ‌ ‌ استشرى بقوم آمنينـــا
نـــار مستبدة عـــاتية ‌ ‌ ‌ اشتعلت ثم أبت أن تستكينا

وهو يرى هذه التجربة، بأنها كانت " ساذجة مهلهلة .. ولكنها كانت تعبر عن عاطفة انسانية صادقة.. وستبقى قريبة من قلبي، لأنها كانت الخطوة الأولى.. وربما كان من الأدق أن أقول - العثرة - الأولى على الطريق الطويل، الطويل"..

كيف ألم الطفل غازي بكل ذلك، وهو لم يتم بعد الثالثة عشره من عمره، لدرجه أنه وهو في الرابعة عشرة من العمر نجح في تأليف قصائد حية متردده، أذهلت الشباب، بل أذهلت المدرسين، وأذهلت الشعراء أنفسهم.

إن طبيعة التكوين البشري منذ بدء الخليقة، حتى أيامنا الحضارة - تقتضي بأن الطفل في هذه المرحلة من عمره، يكون

Twitter: @abdullah_1395

ناقص الإدراك، فكيف حدث هذا النبوغ للطفل غازي؟ والإجابة : ولدت قريحته بعد مولده باثنى عشرة عاماً تقريباً، وكانت بواكيرها واستهلالها حية مترددة اختفت وراء اسم مستعار اختاره الفتى لنفسه في بداية الطريق وهو " محمد العليني " .. فتزعرعت شاعريته ولما يتجاوز الرابعة عشرة من العمر، حين نظم أولى محاولاته الشعرية نشرها ابتداءً من عام ١٩٥٤ على وجه التقريب.. ثم أخذ ينشر تحت نفس الإسم المستعار في كل من جريدة " الوطن ١٩٥٥-١٩٥٦ " ومجلة " صوت البحرين ١٩٥٠-١٩٥٥ "، اللتين كانتا تصدران في البحرين آنئذٍ، معبرتين عن مرحلة زمنية متميزة، وتوجه شعبي وقومي ملحوظ، انطبعت بآثارهما على تجربته في تلك المرحلة المبكرة.

ولبث الفتى الموهوب يظهر براعته المذهلة في نظم القصائد الوطنية، وهو مراهق بين الخامسة عشرة والسادسة عشرة من عمره.. منها على سبيل المثال قصيدة " اليقظة"، وهي عمودية من الوزن الخفيف، مكونة من ثلاثين بيتاً، نشرها في جريدة الوطن بتاريخ ١٩٥٥/١٢/٢، ومطلعها:

ما لذا الأفق مائجاً بالدخان تلك وا لله غضبة البركانِ

ونشر قصيدة أخرى عمودية من الوزن المتقارب، مكونة من ٣٩ بيتاً، تحت عنوان " أخي " وقد نشرت في جريدة

Twitter: @abdullah_1395

"الوطن " أيضاً بتاريخ ١٣-١-١٩٥٦ مذيلة بتوقيع (م.ع) ومطلعها:

أخي ضمد الجرح وانهض معي
إلى عزنا أو إلى المصـــــــرعِ

وفي السابع والعشرين من يناير عام ١٩٥٦ نشرت له جريدة " الوطن " قصيدة بعنوان : " ثورة العبيد "، وهي عمودية من بحر الهزج، مكونة من ١٥ بيتاً يقول في مطلعها :

أتعرفني ؟! أنا ابن الجوع والحرمان والبؤس
أنا ابن الثورة الحمراء تنصبّ على الرجسِ

وفي السادس من ابريل عام ١٩٥٦ نشر قصيدة "المسلول"، وهي عمودية من الوزن الخفيف، في ٣٢ بيتاً، في جريدة "الوطن" ومطلعها:

قتل البأسُ فيه حلم شبابه
فتهاوىٰ مرنّحاً بمصـــابهِ

كما نشر في جريدة " الوطن "، قصيدة تحت عنوان : "علام رجعت ؟" بتاريخ ١٩٥٦/٦/١، وهي حديثة من خمسة مقاطع في أربعين سطراً على هيئة تفعيلة المتقارب.. تعد أول

Twitter: @abdullah_1395

قصيدة في شعر البحرين المعاصر وجدت منشورة آنذاك، فلو بنشرها تزامنت مع قصيدتين لشوقي وإبراهيم العريض، لظهرت وكأنها البنفسجية اليانعة بين دوحتين ثابتتين.. يقول فيها:

علام رجعت؟
أتحسب أن هوانا الذي..
ترعرع بالأمس كالزهرة
وأشرق بالسحر والفتنة
سينمو بأدمعك الهاطلة
دموع الألم؟؟
أتحسب أن الندم
سينبت أوراقه الذابلة

أما قصيدة " جرح الإباء " فهي عمودية في ٣٦ بيتاً، من الوزن المتقارب، نشرها في جريدة " الوطن " بتاريخ ١٩٥٦/٦/٢٩، يقول في مطلعها:

رعودك في مهجتي تزأر
وجرحك في أضلعي ينغرُ

ونحن إذا أحطنا علماً بما أنجزّهُ هذا الفتى الصغير من اعمالٍ أدبية متنوعةٍ وعظميةٍ خلال فترة مراهقته وشبابه، لاعتبرنا ذلك

Twitter: @abdullah_1395

ذلك إعجازاً فريداً من نوعهِ.. وقد شب شعره بعد عامين من تجربته، فشرع ينظم أحسن قصائده الحماسية والغزلية والاجتماعية.. لذلك فإنّ ظهور نابغة الشعر الخليجي خلال فترة زمنية محدودة، تعتبر بلا مراء العصر الذهبي لفن التأليف الأدبي في هذه المنطقة من العالم العربي.

إن النجاح يجر النجاح - كما يقولون - فقد شب شعر هذا الشاب بعد عامين من تجربته، قبل أن يواصل دراسته الجامعية، فشرع ينظم أحسن قصائده الحماسية والغزلية والاجتاعية.. فارتقى بفنه إلى مستوى ذوق الجماهير الخليجية ومن ثم الجماهير العربية قاطبة، فكان أكثر الناس اعتزازاً وفرحاً بما حققه من نجاح في هذا المجال الفني.. وقد أدرك هذا النابغة بأن إعجاب الجماهير بأي عمل فني، هو المقياس الأهم لتقدير نجاح الفنان.

ولأن عمل الشاعر ما هو إلا خلق ذهني تجود به قريحته، وتحثه قدرته على الابتكار والإبداع، ليسعد ويطرب جمهوره، ويدخل عليه لوناً من الإنتشاء المعنوي والروحي، لم يعهده في حياته من قبل.. ولقد سعد الشاب غازي، أيما سعادة بالنجاح الذي حققته " أشعار من جزائر اللؤلؤ " عام ١٩٦٠، جمع في هذا الإصدار كل ما كتبه في غربته إلا أن اسمه جاء صريحاً هذه المرة.

Twitter: @abdullah_1395

ورغم النجاح الذي حققه في ديوانه الأول، ظل هذا النابغة يتوجس خيفة من كل عمل ادبي جديد يقدمه للجمهور. وكشاعر أصيل مهما صادف من نجاح، ومهما لقي من اعجاب الناس بأشعاره، يظل مترقباً في قلب بالغ حكم الجمهور على هذا العمل الجديد وكأنه أول عمل يقدمه له في هذا المجال.

على أية حال، في النفس كثير، والوقت قصير، فاسمحوا لي أن أبدأ فترة الخصوبة الفنية عند هذا الفتى الناشيء، بالأبيات الخالدة المعبرة عن اشتعال قلبه بحب المنامة سجلها عام ١٩٥٩ في أبياته الأخيرة من قصيدة " جزيرة اللؤلؤ ".. فقد عبر فيها عن فرط سروره بعودته التي تشبه الأحلام، إلى سواحل المنامة بعد تغربه عنها، مبتدأ بذكريات طفولته البريئة ونشأته، وذكرياته عشرته التي غذت دائرة القصيدة بأعذب الكلمات وأصدقها، وأغنتها بأبدع الصور الشعرية وأجملها، منتهياً إلى ما يشعر به من الدفء والإطمئنان في حضن وطنه الغالي، فكأنما طرح الله كل أوزاره في لجة اليم، قبيل أن يضع قدميه على تراب سواحل البحرين:

الضوء لاح.. فديت ضوءك
في السواحل يا منامة
فوق الخليج أراك زاهية
الملامح كابتسامة

Twitter: @abdullah_1395

المرفأ الغافي وهمسته
يهنّىء بالسلامة
ونداء مئذنةٍ مضوّأة
ترفرف كالحمامة
يا موطني ! ذا زورقي
أوفى عليك فخذ زمامهْ

التقى أديبنا الشاب في بداية طريقه بأبي القاسم الشابي والأخطل الصغر، فتأثر بهما، كما أنه تأثر -من وجهة نظري- بنزار قباني فيما يتصل بالأسلوب واللقط فقط.. كان الشاعر حينئذٍ - كما سبق وذكرت لكم آنفاً - قد نشر ديوانه الأول : " أشعار من جزائر اللؤلؤ " عام ١٩٦٠.. ثم أتبعه بثانٍ: "قطرات من ظمأ " عام ١٩٥٦.. وتلتهما مجموعة من الأعمال الشعرية منها : " معركة بلا راية " عام ١٩٧١.. " وأبيات غزل" عام ١٩٧٦.. إلى جانب " أنت الرياض " عام ١٩٨٠.. و " الحمى " عام ١٩٨٢.. كذلك " العودة إلى الأماكن القديمة" عام ١٩٨٥ ومن ثم " مائة ورقة ورد " عام ١٩٨٦.. وأخيراً "ورود على ضفائر سناء ".

لقد كان لبيئة البحرين، الفضل الأول والأثر الأكبر في إظهار عبقرية الشاب غازي الأدبية النادرة، إنها لم تخلق -

Twitter: @abdullah_1395

بطبيعة الحال – هذه العبقرية، إذ قد أودعها اللّه جلّت قدرته، فيه.. ولكن أصبحت مهمة هذه البيئة، تشبه مهمة من يستخلص الذهب من الشوائب.. وعمت شهرة الدكتور غازي الآفاق العربية بعد أن ألف مجموعة من المؤلفات في العديد من الموضوعات الأدبية والاجتماعية منها على سبيل المثال : عن هذا وذاك، التنمية وجهاً لوجه، قصائد أعجبتني، سيرة شعرية، في رأيي المتواضع، المزيد من الرأي المتواضع.

كان الدكتور غازي دقيق الملاحظة، شانه كشأن العباقرة، لا يترك ظاهر عابرة تصادفه في حياته، إلا وحاول أن يفك رموزها، ويصل إلى جوهرها، وسببها ومسبباتها بثاقب نظرة، وتجاربه، وببحوثه المتلاحقة، التي لا يكف برهة عنها.. فكان من دأبه المثابرة وطول الصبر والأناة، لأن رسالته دائماً وأبداً لرفع مستوى الحياة الإنسانية الهادئة المستقرة.. فكانت المقالات الأدبية والاقتصادية والاجتماعية، من الأمور التي شغلت تفكير الدكتور غازي، وقتاً طويلاً فكتب العديد منها في الصحافة العربية، كان له وجوده القلمي الواضح شعراً ونثراً في القضايا العربية المختلفة.

بدأ الدكتور غازي عهده كاتباً صحفياً في جريدة الحائط وكان المقال عن المتنبي، وكان في الرابعة عشرة من عمره المديد.. بعدها بسنة كتب مقاله الثاني في مجلة المدرسة المطبوعة، وكان

Twitter: @abdullah_1395

المقال عن مضار التدخين ويقول بعد صدور المجلة ونشر مقاله المشار إليه، عبر صفحاتها: " فوجئت بعد صدور المجلة بكتابات بذيئة على جدران المدرسة تزعم كذباً، أنني " كبير " المدخنين.. (بعد ذلك رُقيتْ من " كبير " .. فأصبحت فيلسوفاً.. ومنظراً.. والبقية تأتي) أدركت وقتها، في تلك السن المبكرة إن على الكاتب - أي كاتب - أن يدفع ثمن ما يكتبه ..حتى ولو كان حديثاً علمياً موضوعياً عن مضار النيكوتين ! ".

ثم شغلته الدراسة، فلم يعد إلى الكتابة الصحفية إلا بعد أن نال درجة الماجستير في منتصف الستينات الميلادية.. ثم بدأ القصيبي زاوية في جريدة " الأضواء " البحرينية، بعنوان "كلمات" .. وبعدها بدأ زاوية أخرى في الجريدة نفسها تتحدث عن أوضاع العالم العربي السياسية، وكانت تحت اسم " بلا انفعال "، أثارت هذه المقالات غير المنفعلة الكثير من الإنفعال غير المتوقع، وكان أعظمها وقعاً مقال عن حرب حزيران بعنوان: "دروس من الهزيمة ".. وقال في شأن هذا المقال : (لا بد أن أشرح للشباب من القرّاء أن نتيجة الحرب في تلك الأيام كانت تسمى " النكسة "، أما تعبير " الهزيمة " فلم يستخدمه سوى كبار " الامبرياليين " و " منظريهم " و " فلاسفتهم ".

بعد حصول الدكتور غازي على شهادة درجة الدكتوراة والتحاقه بجامعة الملك سعود بالرياض، بدأ المساهمة في يوميات

Twitter: @abdullah_1395

جريدة " الرياض ".. وقد نُشر عدد من هذه الكتابات فيما بعد، في كتاب مسمى : " عن هذا وذاك " .. وقال : ثم بدأت أكتب زاوية أسبوعية في " الجزيرة " بعنوان من الحقيبة الدبلوماسية.. وبعض هذه المقالات موجودة في نفس الكتاب – ثم يعقب القصيبي قائلاً – وكانت الجولة التالية في مجلة " اليمامة " حين بدأت أكتب زاوية بعنوان : في " رأيي المتواضع "، وقد جُمع عدد من حلقاتها في الكتاب الذي يحمل نفس الاسم – وقد حقق أرقاماً قياسية في التوزيع – وكالعادة، أثارت الآراء المتواضعة – كما سلف وذكرنا لكم آنفاً- من ردود الفعل غير المتواضعة، ولا يزال البعض يجترون ما اصطادوه من تلك بتلمظ وتلذذ !).

ثم صدر في الرياض فيما بعد كتاب " المزيد من رأيي المتواضع " للدكتور غازي تكملة لكتابه : " في رأيي المتواضع".. ويضم كتابه : " المزيد من رأيي المتواضع " في صفحاته الثماني والسبعين ما يقارب الثلاثين مقالة متنوعة، تناول المؤلف من خلالها عدداً من القضايا والأوضاع السياسية والاجتماعية.. وتندرج مقالات الكتاب تحت عناوين فيها : " هكذا تكلم الانسان " و " الجوع إلى الأبطال " و " تأملات كروية من كائن غير كروي " و " الفراشة والوردة ".

وعاد الدكتور غازي إلى البحرين وعاد إلى " الأضواء " بزاوية أسبوعية " رومانسية " ظهرت حلقاتها فيما بعد على هيئة

كتاب بعنوان : " ١٠٠ ورقة ورد " .. ثم جاءت عاصفة احتلال الكويت، وجاءت زاوية " في عين العاصفة ".

Twitter: @abdullah_1395

(٤)

دراسة نقدية لكتاب

" من هم الشعراء الذين يتبعهم الغاوون ؟ "

يحتل الدكتور غازي عبد الرحمّن القصيبي، مكانة بارزة من خارطة النهضة الثقافية البحرينية خاصة والخليجية عامة، كما يُعد من كبار الرواد التنويريين، الذين قاموا بمهمة النهضة العربية الحديثة، خير مقام، بل تابعوها بجهد واجتهاد منذ فترة الستينيات من هذا القرن وحتى يومنا الحالي، دون كلل أو ملل يذكر .. لذا توجه الكثيرون من المفكرين والأدباء والنقاد إلى نتاج فكره وحصيلة تجاربه الغنية، يقيمون جهوده، ويسعون إلى تتبع المسار الأدبي لهذا الرائد المبدع .. يحاورونه من مواقع فنية مختلفة إعجاباً وتقديراً لمساهمته الغزيرة، خاصة خلال العقدين الماضيين.

في مدخل الكتاب وعنوانه الكامل : " من هم الشعراء الذين يتبعهم الغاوون ؟ " نقرأ الآية الكريمة ﴿ والشعراء يتبعهم الغاون ۞ ألم تر انهم في كل واد يهيمون ۞ وانهم يقولون ما لا يفعلون ﴾ فبداية يوضح الدكتور غازي عبد الرحّمن القصيبي الأداة التي سيحاور قارئه بها.. فمنهجه العلمي ورصانة بحثه

Twitter: @abdullah_1395

وجديته، سيكون لنا بمثابة النور الذي به نستدل على مثابرة وجهة نظره، من خلال الربط الجدلي بين قول الشاعر وفعله، إذ يقول :

" لا أظن أن شاعراً عربياً واحداً لم يسمع من الآخرين، على سبيل الغمز واللمز غالباً، أنه يقول ما لا يفعل. ولا أحسب أن شاعراً عربياً واحداً لم يقل للآخرين بدوره، على سبيل العذر والتبرير غالباً، أنه يقول ما لا يفعل. فإذا صحت هذه الملاحظة، وليس هناك من وسيلة للتثبت من صحتها، كان معناها أن ثمة تفاهماً غير مكتوب بين الشعراء وغير الشعراء على أنه يحق للشعراء، دون غيرهم من البشر، أن يكذبوا. ولا اعتراض لديّ على مثل هذا التفاهم، إن وجد. اعتراضي أن يستند تفاهم كهذا على آيات من كتاب اللّه الحميد، فليس في الكتاب الحميد ما يجيز لأحد، شاعراً كان أو ناثراً، أن يكذب " – انتهى كلام الكاتب الدكتور غازي –.

في البدء أود أن أقول أن القصيبي، قد بذل الجهد الشاق البيّن والجلي عبر كتابه: " من هم الشعراء الذين يتبعهم الغاوون؟" .. وبذلك أتقن موهبة السجال والحوار مع قارئه.. وتبقى نقطة أخرى أرغب الإشارة إليها وهي أن بحثه الرصين، هذا، الذي قدمه لنا في طيات هذا الكتاب، لم يغفل أبداً المهمة التنويرية الأساسية التي ساهم بها – كما سبق وذكرت لكم آنفاً – من خلال تردده على الفكر

Twitter: @abdullah_1395

الوضعي المنطقي، ومحاربته الشديدة من خلال ذلك للخرافة والأفكار الرجعية الهدامة .. وقد زاده الحوار والجدال الهادف مكانة أسمى على مكانته السامية.. فهذا الرائد العربي الأصيل، الذي لا زال وسيبقى بإذن اللّه، دعامتنا الثقافية، ينبض بحب الحياة والعلم والمعرفة، وفق منظور منهجي متطور، انطلاقاً من موقع هام، وهو في نهاية الأمر، الأرضية الأدبية العربية التي عرض عليها كبار نقاد هذا العصر خلال أكثر من ثلاثة عقود متتالية.

نادرة جداً مثل هذه الدراسات النقدية العربية التي تتناول سوسيولوجيا الخطاب الأدبي بأدوات نقدية تاريخية متطورة .. إذ يأتي صدور هذا الكتاب النقدي كخطوة نوعية هامة باتجاه الأعمق نقدياً وتاريخياً، حيث يلتقي القارىء بدراسات أدبية تتصدى لنماذج شعرية وراثية، ضمن معادلة منهجية متقنة تسعى للعثور على الشكل في المضمون، والمضمون في الشكل من خلال وحدتها في تفاعلها الجدلي، باعتبار أن الإبداعي للدكتور غازي عبد الرحمّن القصيبي لا يمثل بنية محددة للشعر فحسب، بل أيضاً رؤية وموقف المبدع ذاته بغية إعادة الاعتبار للنص وكاتبه .. هذا ما يؤكده أدينا من نص قوله، نقتبس :

" يُروى أن سيدنا عمر بن الخطاب استعمل شاعراً، إسمه النعمان بن فضلة، على ميسان من نواحي البصرة. ما إن استقر صاحبنا في مكان عمله حتى أرسل رسالتين شعريتين إستفزازيتين

Twitter: @abdullah_1395

إحداهما إلى زوجته، وهذه أمرها يهون، والأخرى إلى رئيسه، أمير المؤمنين، وهذه أمرها أصعب، يصف مشهداً شبيهاً بما يدور في المحلات التي يطلق عليها هذه الأيام إسم، " علب الليل "

فمن مبلغ الحسناء أن حليلهـــــا

بميسان يسقى في زجاج وحنتم

إذا شئت غنتني دهـــــاقين قرية

ورقاصة تجذو على كـــل منسم

فإن كنت ندماني فبالأكبر اسقني

ولا تسقني بالأصغر المتثلـــــــم

لعل أمير المؤمنين يســـــــوؤه

تنادمنا بالجوسق المتهـــــــدم

وهكذا بدأ القصيبي بدراسة تحليلية للثقافة الموروثة، كعادة ما يكتبه الأكاديميون والمتخصصون والمنظرون ..فهذه المنهجية نابعة من طبيعة المواضيع الإبداعية المتعلقة بشؤون الشعر والشعراء.. وهي شؤون بها قدر كبير من الحركة الثقافية والديناميكية العلمية – إن جاز لي التعبير – والإثارة والأمثلة النابضة دون إطالة أو استطراد، حيث يقول :

" ولا يسجل لنا التاريخ ما فعلت الحسناء بعد استلام رسالة حليلها إن كانت قد فعلت شيئاً، ولكنه يسجل لنا ما فعل

Twitter: @abdullah_1395

أمير المؤمنين الذي ساءه ما سمع، فقد استدعى العامل الشاعر وعزله من عمله. وتضيف لنا الرواية أنه درأ عنه الحد لإعتذاره بالآية الكريمة التي تصف الشعراء بأنهم يقولون ما لا يفعلون " -انتهى كلام الدكتور غازي -.

ومن ثم برزت بوضوح إيجابية تحديد معايير اختيار النصوص عند القصيبي، مستنداً إلى معايير احتوائية النص، استطرد قائلاً : " كما يروى أن الفرزدق أنشد سليمان بن عبد الملك قوله :

فبتن بجانبيَّ مُصرّعاتٍ وبتُّ أفضُّ اغلاق الختام

فقال له الخليفة : " قد وجب عليك الحد "، فرد الشاعر : " يا أمير المؤمنين قد درأ اللّه عني الحد بقوله "وأنهم يقولون ما لا يفعلون ".

ومن هنا يتطلع القارىء العربي إلى كل ما يصدر من دراسات عن الأدب، خاصة إذا كان الموضوع غير مطروق على الإطلاق أو أن ما يكتب فيه قليل، ولهذا يكون كتاب : " من هم الشعراء الذين يتبعهم الغاوون ؟ .. " بحثاً موضوعياً مرغوباً ومطلوباً، إذ أن نهجه من الموضوعات التي قلما تطرق لها الكتاب العرب أو عنوا بها أو اهتموا بها من قرب أو بعد .. وكواحد من القراء الذين يهتمون بمثل هذه المواضيع النادرة، ويقرأون عنها، فقد أطلعت على هذا النتاج وقرأته بإمعان،

Twitter: @abdullah_1395

فوجدته كتيباً، تقارب صفحاته من الستة والستين، تحتوي على مدخلٍ وخمسة عشر موضوعٍ، والمراجع في النهاية .. وقد وجدت الكتاب لا يعالج فقط موضوع " والشعراء يتبعهم الغاوون "، حسب ما يشير عنوانه إلى ذلك لكنه يبحث في موضوعات أخرى كموقف الإسلام من الشعر، يستفيد منها القارىء كثيراً ويحمد للمؤلف الجهود التي بذلها في جمع معلوماته وتقصي مصادرها وتتبع مظانها، حيث يقول :

" ولي تعليق بسيط على قصة الشاعرين مع سيدنا عمر ومع سليمان بن عبد الملك. لقد تبجح عامل ميسان، وهو بلغة اليوم موظف عام، علناً بأنه يعمل ما يسوء رئيسه. وهذا التبجح، سواء كان كاذباً أو صادقاً، وسواء كان شعراً أو نثراً أو سجعاً، يكفي في نظري، لإقالة المتبجح، وهذا ما فعله سيدنا عمر. كان القرار، على ما أتصور، قراراً إدارياً قبل أن يكون قضاءً شرعياً. أما بيت الفرزدق فالصورة الواردة فيه موغلة في الخيال الخصب الواسع، حتى لتكاد تذكرنا بمبالغات " أبو لمعة ".

أحسب الخليفة كان يمازحه، وأشك أنه كان على وشك إقامة الحد عليه "- انتهى كلام الدكتور غازي القصيبي - .

وأنا أعتقد بأن أحد أسباب عدم إقامة الحد، خاصة في الحالة الثانية، لا بد وأن يعزى إلى مباحث الفقهاء حول عدم إقرار الشاعر باقتراف ما يوجب الحد في شعره .. ويبدو أن

Twitter: @abdullah_1395

المؤلف قد أصاب الهدف المنشود أثناء عملية التأليف، ودليلي على ذلك تلك النصوص الثابتة التي ذكر مصادرها ووضعها بين حاضرتين .. ففي هذه النصوص لا يخطىء القارىء تشخيص تأثير الشؤون الفقهية على جملته المكتوبة، حيث يقول :

إن الشعر لا يصلح إقراراً شرعياً لا لأن الشاعر صادق أو كاذب، بل لأن طبيعة الشعر وأسلوبه وخياله وصوره تجعل روحه ولغته بعيدة كل البعد عن روح الإقرار الشرعي ولغته. وعن لغة الشعر يقول ابن العربي رحمه اللّه : (أما الإستعارات في التشبيهات فمأذون فيها وإن استغرقت الحد وتجاوزت المعتاد). ويقول العلامة القرطبي رحمه اللّه في معرض تعليقه على قصيدة كعب بن زهير الخالدة " بانت سعاد" أن النبي (ص) كان (يسمع ولا ينكر في تشبيهه ريقها بالراح) .

من وجهة نظري ، استطاع المؤلف في هذا الكتاب أن ينسج وتيرة موحدة لعدد من الأزمنة، فالماضي مقحم في الحاضر، والمستقبل يرش علاماته ويرتسم بين الفضائين، دون أن يحدث انشطار أو انقطاع في السياق للقراءة الفاحصة المستقصية. ففي طلاوة محببة يصهرها الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي، بسرعة فائقة وحرفة متميّزة باتجاه المعنى الأبسط والأقرب إلى المنطوق والمفهوم حيث يقول :

" على أن تعليقي هذا، كائناً ما كان نصيبه من الصحة، لا ينفي أن الشعراء ، أو عدداً كبيراً منهم على أية حال ، رأوا أن الآية

Twitter: @abdullah_1395

الكريمة التي تصف الشعراء بأنهم يقولون ما لا يفعلون تنطبق عليهم. كما أن الفقهاء الكرام الذين بحثوا المباحث التي المحنا إليها في إقرار الشاعر وانتهوا إلى درأ الحد عن الشاعر اعتمدوا على الآية الكريمة نفسها. وفي أيامنا هذه لا يزال عامة الناس وخاصتهم يصفون الشعراء بأنهم يقولون ما لا يفعلون مستندين، بدورهم، على الآية الكريمة ذاتها. "

الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي، بدقة المجهر، وبحيوية المادة النادرة يقوم ببناء مبرراته على محصول ناجز لحقل مترامي الأطراف من المعلومات والمنظومات وأصول الفقه ..إنه وبرغبة الجيولوجي الماهر يبحث دائماً عن أصعب المناجم وترسباتها، عن الأقوال التي لم تقال، إذا " الشعر والشعراء في القرآن الكريم " يتخذ من كل ما ورد في القرآن الكريم عن الشعر والشعراء، دون استثناء، يستهدف شيئاً واحداً هو تكذيب المشركين في دعواهم أن القرآن شعر وأن النبي ﷺ شاعر. فقد وردت كلمة الشعر في القرآن الكريم، لأول مرة، في سورة يس ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ﴾. ثم ورد ذكر الشعراء في الآيات الأربع موضوع بحث المؤلف، وسنرى أنها هنا وردت للهدف ذاته .. ثم جاءت كلمة شاعر في سورة الصافات: ﴿ ويقولون ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون ﴾ ورفعت السورة هذه الفرية البذيئة ﴿ بل جاء بالحق وصدق المرسلين ﴾

Twitter: @abdullah_1395

ثم وردت الكلمة في سورة الأنبياء : ﴿ بل قالوا أضغاث احلام بل افتريه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ﴾ .. ويجيء الرد: ﴿ ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها فهم يؤمنون ﴾ .. ثم جاءت الكلمة في سورة الطور مقرونة بتهديد من المشركين : ﴿ أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون﴾ .. وجاء التحدي : ﴿ قل تربصوا فإني معكم من المتربصين﴾ .. ثم وردت الكلمة في سورة الحاقة تحمل الموقف القرآني الذي استعرضه المؤلف : ﴿ وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ﴾ .

كما يستند الدكتور غازي، في عملية نبشه لهذا النهج التحليلي إلى وثائق " الشعر والشعراء في السنة النبوية "، وفي جدية واضحة مع مقدرة علمية مطمئنة لتحليل الأحاديث التي صحت عن النبي ﷺ في هذا الموضوع، وقد كانت من الكثرة، اكتفى المؤلف بإيراد بعضها عن أُبي بن كعب رحمه اللّه (انه ﷺ قال : " إن من الشعر لحكمة ") (أخرجه البخاري وأبو داود). وعن ابن عباس رضي اللّه عنه (جاء إعرابي إلى النبي ﷺ فجعل يتكلم بكلام فقال "إن من البيان سحراً، وإن من الشعر حكماً") (أخرجه الترمذي وأبو داود) .. عن عائشة رضي اللّه عنها: (كان رسول اللّه ﷺ يضع لحسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول اللّه ﷺ، أو ينافح، ويقول رسول اللّه ﷺ إن اللّه يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول

Twitter: @abdullah_1395

اللّه ﷺ) (أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي واللفظ للترمذي) .. الخ .

أما موضوع " موقف الإسلام من الشعر "، يجمع بين كلمتين، هما الأصالة والتراث .. وكل منهما تُعد كلمة ثمينة وغالية، ولها في القلب والعقل والشعور ثقلها، ولها في العين جمالها ورونقها، وفي الأذن وقعها الموسيقي الحلو ونغمتها العذبة .. أرى الأصالة عند القصيبي هي الماضي العتيد، بكل ما تحمل من تراث نعتز به ونقدره .. وكما يعلم القارىء بأن التراث حصيلة القيم الدينية والاجتماعية، والخبرات الطويلة المتوارثة عبر الأجيال، جاءت إلى الأبناء عن الآباء، ووصلت للأحفاد عن الأجداد وللخلف عن السلف .. فتأمل قول المؤلف :

(أحسب أن من حقنا بعد هذه الجولة المباركة في آيات القرآن المجيد والسنة النبوية المطهرة وأقوال خيار الأمة أن نحدد موقف الإسلام من الشعر، فنقول، إن الموقف من الشعر يعتمد على طبيعة الشعر. الإسلام يبيح الطيبات، ويحرم الخبائث، والشعر الطيب يدخل، دون جدل، في دائرة المباح، أما الشعر الخبيث فمرفوض مع بقية الخوابث. ولعل عبارة واحدة لا تلخص موقف الإسلام من الشعر بالدقة والوضوح اللذين يتجليان في العبارة المشهورة : " الشعر كلام فحسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام ".)

Twitter: @abdullah_1395

والشعر مهما قيل في نقده من وجهة نظر الأقدمين والمحدثين، وحتى اتهامهم إياه بعدم صلاحية بعضه واستمراره لأجيالنا المعاصرة .. يرى الدكتور غازي - وأضم صوتي إليه - فيه كنوز ثمينة لا تقدر بثمن، ومن الحماقة أن نرفضها كلها أو نركلها بأقدامنا، كما لو أنه أشبه بآنية صدئت ثم تلفت مع مرور الزمن .. كلا يجب أن نعترف بما للشعر من أصالة ليس للماضي فقط بل للحاضر والمستقبل .

(يمكننا القول، إذن، إن كل شعر لا يرفضه الإسلام هو، في نهاية المطاف، شعر إسلامي. إلا أنه كانت هناك دائماً فئة من الناس تود حصر دائرة الشعر الإسلامي في شعر الجهاد والدعوة. ونحن نُسلم أن لشعر الجهاد والدعوة من نبل المقصد وسمو الغاية ما ليس لغيره إلا أن نبل المقصد وسمو الغاية لا يضمنان روعة الشعر.

على شعر الجهاد أن يجتاز امتحاناً ثانياً هو امتحان الفعالية. لا بد لشعر الجهاد أن يستنهض همم المجاهدين ويثبط عزائم المناوئين، أن يكون وقعه على الأعداء " كنضح النبل " كما تقول الجملة النبوية الخالدة. أما شعر الجهاد الذي لا يحرك مجاهداً ولا يرعب عدواً، فيبقى لصاحبه ثواب نواياه، ويعلمها العليم الذي لا تخفى عليه خافية، ويبقى لنا جماله، إن كان من الشعر الجميل) - انتهى كلام الدكتور غازي - .

Twitter: @abdullah_1395

وكانت لديَّ لذة فائقة بقراءتي هذا السؤال : " ماذا يقولون مما لا يفعلون ؟ " وجواب الدكتور غازي على هذا السؤال مساهمة أدبية مهمة للغاية في الشعر العربي، حيث وُفق المؤلف في جمع تراث غني للثقافة الإسلامية بكل أمانة ودقة .. أنه جهد علمي رصين، قام به المؤلف، حيث يقول :

(قول الإنسان ما لا يفعل خصلة ذميمة والكذب خصلة ذميمة ولكنهما لا يعنيان الشيء ذاته. فإذا وصف أحدٌ امرأة قبيحة بأنها أجمل من القمر فإنه كذب ولكنه لم يقل ما لم يفعل. أما إذا وعد إنسان إنساناً آخر أن يسلمه مبلغاً معيناً أول كل شهر ثم نكص عن الوفاء فقد فعل ما يتجاوز الكذب العادي مسبباً ما لا تحمد عقباه من النتائج. والآية الكريمة لا تتحدث عن كذب الشعراء ولكنها تتحدث - بصفة دقيقة ومحددة - عن قولهم ما لا يفعلون. فهل تراها تشير إلى مسلك هؤلاء الشعراء عامة أم تتحدث عن شيء معين بالذات قالوه و لم يفعلوه) .

من خلال دراستنا لموضوع " آية الاستثناء " لاحظنا بأن الدكتور غازي عبد الرحمّن القصيبي يعرفنا بقسم لا بأس به من الشعراء المشهورين مثل كعب بن مالك، عبد اللّه بن رواحة، حسان بن ثابت (شاعر الرسول) .. حيث قال : (كما أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قلد شعراء الأنصار مفاخر الدهر. فقد قال لكعب بن مالك يوم الخندق " لقد شكرك اللّه يا كعب " وقال

عن عبد اللّه بن رواحة : " إن أخاً لكم لا يقول الرفث " وكان يستشهد بشعره كما سبق أن روينا عن عائشة أم المؤمنين. أما حسان بن ثابت فيكفيه عزاً أن أسمه ارتبط مع اسم النبي ﷺ فلم يعد يذكر اسم حسان إلا ووراءه " شاعر الرسول") .

إضافة لذلك لاحظنا في نهاية الكتاب انه قدم مراجعاً لبعض الأعلام كابن الأثير الجزري، وابن تيمية، وابن حزم، وابن عبّاس، وابن قتيبة، وابن كثير، وابن هشام، والجاحظ، والطبري.. وغيرهم من المراجع باللغة العربية، إلى جانب بعض الأعلام كمرجع باللغة الإنجليزية أمثال Asad Mohammad , Shahid Irfan وغيرهما.

بعد هذه الرحلة القصيرة مع مؤلف " من هم الشعراء الذين يتبعهم الغاوون ؟ .. يجب أن نكتفي بهذا القدر من الدراسة النقدية المتواضعة، لكي يطل القاريء عبر أفق على البعد النظري لنص الدكتور غازي عبدالرحمّن القصيبي، الذي شق لنفسه مجراه، وحفره بعناد وصبر وبصمت مذهل، من كاتب لا يملك القارىء إلاّ أن يحترمه ويقدره ويشد على يده في كل مرة يراه فيها .. وذلك لا نعني إطلاقاً شيئاً على صعيد المجاملة النقدية، بل نعني في الواقع أن الدكتور غازي، وهو يحمل منذ أربعة عقود متتالية - أطال اللّه في عمره وأبقاه - عبء هذا العلم الأدبي والروائي والشعري والنقدي، وعبر هذا الجهد الفذ من الخلق الإبداعي المحبب إلى النفوس .. إنما يؤسس لنفسه بكل

Twitter: @abdullah_1395

ثقة منبراً بالغ التفرد والإبداعية والذاتية، الذي يستوعبه القارىء المتتبع لنتاجه ليؤطره بالحمد والثناء على وعيه وعلمه ورؤياه الثاقب المدهش .. فقد أنهى صفحات كتابه بقوله :

(كانت الصفحات الماضية جهداً متواضعاً لتدبر أربع آيات كريمة من كتاب اللّه المجيد، لا أقول فيه إلاّ ما قاله الصحابي الجليل عبد اللّه بن مسعود، رضي اللّه عنه، " إن يك صواباً فمن اللّه، وإن يك خطأً فمني ومن الشيطان، واللّه ورسوله، بريئان ". ﴿ واللّه يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾.

Twitter: @abdullah_1395

(٥)

رواية " شقة الحرية "
بين النقد والمضمون

يستطع روائي عربي معاصر تسليط الأضواء - في ميدان الرواية بتأثير قوي، كما فعل الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي- على شلة من الشباب، وفدوا عام ١٩٥٦ إلى القاهرة، مدينة الحرية والعروبة، من قطر عربي مستزمت، بحثاً عن العلم، فانصرفوا إلى ممارسة الحرية في شقة صغيرة صارت " جزءاً لا يتجزأ من الأمة العربية"، فضاعوا في متاهات السياسة والانتماء والعشق ، وازدادوا وحشة في غربتهم بعد أن كانوا غرباء في أوطانهم .. وهذا قد لا يثير أي استغراب إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ، أنه كرس جهده في واقع الأمر، بميدان الأدب القصصي ، لتصوير ظروف الطلبة البحرينيين، وتقصي الشؤون العربية المتشابكة إزاءهم .. وخلال سني دراسته القصيرة التي لم تتجاوز خمس سنوات، نجح الدكتور غازي في أن يبني نفسه باستمرار ككاتب قصصي تجريبي، كناطق باسم أفراد الشلة، ويعكس فيها بمهارة فائقة ضياع الأجيال العربية المتلاحقة، وسط

Twitter: @abdullah_1395

التناقضات الثقافية، المعاصرة والأصولية، والالتزام العقائدي وشعور اللاإنتماء .. وبين مراهقة العاشقين والنضج الثقافي.

كانت روايته " شقة الحرية" دون أدنى شك، تعد من أكثر أعماله الروائية شهرة ، حي نجحت بوضوح وقوة هائلين في توصيل رسالتها الخاصة بقضايا طلابية ، ومواقف مبدئية مباشرة من هناك، يسقطها الدكتور غازي، على نكهة إبداعية من هنا .. بمعنى آخر انطباع مشبع بمناخ مصري يعمل بإبداع بحريني التعبير.. فكأنما الكلمات في الرواية تستعير النكهة المصرية صورة.. وتجعل من النكهة البحرينية إطاراً.

والأبطال الخمسة في هذه الرواية فؤاد الطارف ، يعقوب ، قاسم ، عبدالكريم ، عبدالرؤوف ، لا يتحركون في الواقع في خطوط متوازية أو متعاكسة ، كما سيبدو للقارئ منذ الوهلة الأولى ، ولكن في خطوط متقاطعة تلتحم أحياناً إلى حد تبدو على السطح وكأنها تكون في مجموعها خطين فحسب ، لا ثالث لهما.. وهذا الالتحام الفني يشمل أيضاً المكان والزمان ، بحيث لا يبدو للعيان أي فارق يذكر بين الأمكنة المتباعدة من جهة وبين الأزمنة المتباينة من جهة أخرى، وأحياناً لا يبدو أي فارق أيضاً بين الأمكنة والأزمنة في وقت واحد.. وهكذا يبين الدكتور غازي في توضيح جيد يستهل به روايته عبر هذا التكتيك المتقن الذي أنتجه في كتابته لأحداث هذه الرواية.

Twitter: @abdullah_1395

وعليه، فليست رواية " شقة الحرية" للكاتب الروائي الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي ، من الروايات الكلاسيكية لجهة البناء الدرامي، والأجواء ، وتطور الشخصيات ، وكذلك الحبكة.. ولو أنها استفادت من هذه العناصر بشكل أو بآخر.. والسبب في ذلك أنه اعتمد على الفكرة المفتوحة والنص المفتوح، ومزجهما مع رؤيته الذاتية ، لحالة ما قد تخطر على باله صدفة أو لحادثة عايشها .. فكان لتحديد موقفه من الواقع ، جعل جو روايته بان أصبحت أكثر تماسكاً من الناحية الفنية.. بل وجدت بكل يسر محورها المتميز، الذي تدور عليها أحداثها ، والرابطة التي تربط بين أجزائها بشكل سليم ومتقن.

وفيما يتعلق بالتكنيك الذي استخدمه الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي ، يثير مثل هذا التوضيح عدداً من النقاط الهامة لفتاً للنظر، هو ذلك التقارب المغامر بين عنصري المكان والزمان وبين الشخصيات الرئيسية الخمسة في الرواية باعتبارهم أبطالها.. فالزمن يلعب في هذه الرواية دوراً بالغ الأهمية بالفعل ، وأحداث الرواية تستغرق خمس سنوات التحصيل الدراسي ، تكشف أسطرها حاجة خمسة فرسان إلى بطل ، لا يكون بطلاً بذاته بقدر ما يكون بطلاً بذاتهم، يروون حكايته ، يعيشون على ذاكرتهم من خلاله.. يشدون إيقاع مشاعرهم بإيقاع بطولاته الغرامية، بإنسانيته الحميدة، بصبره الذي لا ينفد .. فيحكي كل

Twitter: @abdullah_1395

واحد منهم قصة هذا البطل على هواه وحسب مزاجه ورؤاه على أرض الواقع.

ضمن هذا الإطار الغني بالمفاجآت يبرز التكنيك الذي استخدمه الدكتور غازي، كما أوضحنا سلفاً، وبصورة مؤثرة وناجحة في اعتقادي الشخصي، في تصوير شخصيات الرواية أنفسهم.. فهؤلاء الفرسان الخمسة ذوو أهواء مختلفة وآراء شتى.. فنرى يعقوب الحدي يبحث جاداً عن فكرة محور الحياة، فينتقل فجأة من الوجودية إلى الفرويدية والماركسية والتولستوية، ومن ثم يصمم أن يكون ماركسياً.. أما عبدالكريم فهو ذو نشأة دينية ، ينهار بسرعة لأن حبيبته المصرية تركته لتتزوج ضابطاً، فيدخل فعلاً سراديب الأزمات الروحية والتشكيكية.. وفيما يختص بقاسم ، فهو ذو توجه بورجوازي دائم لا يتزحزح.. أما عبدالرؤوف فهو الصديق الصدوق عند فؤاد ، حيث تتشابك علاقتهما في كتابة القصة.. فهما يكتبان قصصاً قصيرة عديدة تظل مبثوثة في كيان الرواية الواسع هنا وهناك، وتطلع بصورة مفاجئة لتروي لنا مواقف من خارج حبكة الرواية ، بعيدة عن شخصياتها ولكنها، كما يقول الأستاذ عبدالله خليفة ، تعبر عن طموحات البسطاء ومشاكلهم الصعبة، والتي لا حصر لها.

كما تكشف الرواية حاجة شخصياتها الرئيسية إلى شخصيات فرعية لتصبح امتدادات متنوعة ضرورية لها مثل

Twitter: @abdullah_1395

نشأت والأستاذ شريف وماجد ، والشغالات، والحراس ، وأساتذة الجامعة.. كل هذه الشخصيات تأتي لاستكمال دور الشخصيات الرئيسية.. كما تأتي أسماء الفتيات كامتدادات طبيعية عاطفية لازمة جداً لكل شخصية محورية، دون أن تمتلك بؤرة معينة أو حيزاً خاصاً بها.. ثمة تأتي أسماء شخصيات بعض القادة.

على أية حال، فحن نشر الدكتور غازي رواية "شقة الحرية"، كأول عمل قصصي له في شهر يناير من عام ١٩٩٥، كان غيره من قصاصي جيله من البحرينيين، قد سبقوه بنشر العديد من قصصهم منذ زمن بعيد أو قريب، إلا أنه ابتزهم فجأة بجودة إنتاجه الروائي .. فقد كشف منذ البداية، عن شخصية قصصية متميزة، ومتمكنة، أحلته سريعاً مكانة متقدمة في الحياة الروائية المبدعة، ومن هنا أخذ اسمه يقترن بأسماء أبرز كتاب القصة العربية، أمثال نجيب محفوظ، إحسان عبدالقدوس، توفيق الحكيم، يوسف السباعي، ثروت أباظة، وحنا مينة.

وبأفكار مثيرة للعواطف والانفعالات، والتي تحمل معنى الحنان، يعيدنا الدكتور غازي إلى بداية الرواية، إذ تعرض رواية "شقة الحرية" على لسان بطلها، الذي يحدثنا بدقة على مراحل حياته المختلفة، مذ طفولته، فصباه، فشبابه.. ونراه يبدأ بذكر دعاء والدته، وهي تعانقه قبل الرحيل وتبكي، قائلة: " اللّه

Twitter: @abdullah_1395

يفتحها في وجهك يا أبوي" .. وتكرر الدعاء، وتعود إلى معانقته، وتبكي، وتسأل للمرة العاشرة: "

- هل كتبت الآية يا بعد كبدي؟ هل كتبتها يا بعد روحي؟

- نعم في عدة محلات.

أمه لا تترك أحداً يسافر إلا بعد أن يكتب على الجدار الآية الكريمة: ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ﴾ .. تؤمن أمه إيماناً لا يخالجه شك في أن من يكتب هذه الآية لابد أن يعود من سفرته سالماً بإذن الله.. هذه المرة كان إصرارها أكثر من العادة.. و لم تطمئن حتى رأتها مكتوبة بخطه ثلاث مرات.

أرى في اسلوب صورة الارتجاع الفني لدى الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي، تنجح في تقديم بعض التفصيلات الضرورية لقارئه.. فقد كان على إلمام كافٍ بمستلزمات الحوار الفني الناجح ، وخصائصه، الذي يمتلكه قلمه كصفة حميدة للسيولة والترابط والإتقان بحيث يمنحه القدرة على تحقيق الهدف المقصود. فيندفع لديه سيل من الذكريات حول سفرته إلى القاهرة، وما دار بين أمه وأبيه من جدل طويل:

- أبا ناصر.. كيف تترك فؤاد يسافر بمفرده على الطائرة؟ ويعيش بمفرده في مصر؟

- فؤاد أصبح رجلاً.

- رجلاً لا يزال طفلاً في الثالثة عشرة.

Twitter: @abdullah_1395

– يا امرأة! هل يصغر إبنك أم يكبر؟ بعد قليل سوف يصل إلى السابعة عشرة إن لم يكن وصلها. هل نسيت أنـي تزوجتك عندما كنت أصغر منه؟

– ولكن يا أبا ناصر ..

– الموضوع انتهى. سوف يسافر بمفرده.

– اللّه يفتحها في وجهك يا ابوي !

هذا الارتجاع الموجز، هو مقدمة كافية للتخطيط المحكم لدمج مختلف طبقات الزمن والوعي في وحدة فنية واحدة، وضمن هذا الإطار الزمني تحملنا الرواية إلى طفولة الشخصية الرئيسية ، وإلى فترة دراسته ، وإلى حياته المستقبلية.. فتسري الطمأنينة في عروق فؤاد، ما أجمل التعبير " يفتحها في وجهك". يفتح ماذا؟ الدنيا، القاهرة، الدراسة، أبواب المستقبل، كل هذه الأشياء " ستفتح " في وجهه.

حين تصل الطائرة مطار القاهرة، تسارعت دقات قلب فؤاد، فخاطب نفسه قائلاً: هذه ، إذن ، هي القاهرة، بداية المغامرة الرائعة.. فأول انطباع قفز إلى ذهنه هو أنه لم ير مطاراً بهذا الحجم من قبل.. رأى مطارات الظهران والكويت ، ودمشق وبيروت ، غير أن أي منها لم يكن بهذه الضخامة.. و لم يضم أعداداً بشرية كهذه التي تموج الآن من حوله ، والبعض يرتدي ملابس رسمية ، والبعض ملابس عادية، والجميع يتكلمون في وقت واحد.

Twitter: @abdullah_1395

ومن ثم تبدأ الشبكة المعقدة والمتفجرة من الشخصيات والعلاقات التي تواجه بطل الرواية مع بدايتها.. إذ وجد نفسه فجأة في الطابور الطويل أمام مكتب الجوازات، وانتابه السرور عندما رأى الضابط الجالس وراء المكتب يبتسم ، وينهي كل جواز في لحظات.. وجد نفسه أمام الضابط..كان ينوي أن يشرح له بالتفصيل أنه قدم بلا تأشيرة نظراً لعدم وجود قنصلية مصرية في البحرين ، وأنه يود الحصول على تأشيرة اضطرارية. إلا أنه لم يجرأ على الكلام . بصمت، قدم جوازه إلى الضابط الذي قلب الصفحات ثم قلبها مرة أخرى وسأله بشيء من الضيق:

- أين التأشيرة؟

- لقد قدمت من البحرين ..

وقاطعه الضابط:

- ارجع آخر الطابور.

عاد فؤاد إلى المؤخرة..ووجد أمامه صفاً أطول مما زاد من تبرمه لمثل هذه الإجراءات غير المعتادة على الأقل بالنسبة لشاب صغير في مقتبل عمره.. فبعد نصف ساعة رجع إلى الضابط الذي بدأ يقلب صفحات الجواز من جديد.. ومن الحديث الذي يدور بينهما نعرف أنه بلا دراية أو تجربة بشؤون السفر ومتاعبه.. فبدلاً من ضبط النفس ، نراه يندفع بلا تفكير قائلاً:

- لا يوجد في الجواز تأشيرة لأني جئت من البحرين . والبحرين

Twitter: @abdullah_1395

لا توجد فيها قنصلية مصرية. سبق أن وقفت هنا وأرجعتني إلى آخر الصف. أريد تأشيرة اضطرارية من فضلك!

وهنا يتركنا القاص ولو لبرهة وجيزة خلال هذا الحوار الساخن ، نتساءل ، ترى هل سيظلان متباعدين، أو سيتفقان على حل المشكلة.. لكنه بلغة ذات نبرة صادقة تؤثر حتماً في قارئها يستطرد قائلاً: يبدو أن الضابط كان على وشك إعادته إلى آخر الطابور مرةً ثانية عندما انفجرت " من فضلك" تحمل من التوسل الذليل ما لم يكن يقصده. لعلها أثرت في الضابط الذي نظر إليه مستغرباً ثم قال:

– تفضل هنا في الغرفة. انتظر حتى أفرغ من بقية المسافرين.

كانت " الغرفة" مجرد فتحة لا تسع إلا مكتباً صغيراً ومقعدين. مرت عشر دقائق. وثانية. وثالثة. وبدأ يشعر بالقلق. هل نسيه الضابط؟ هل سيرفض إعطاءه التأشيرة؟ هل سيعيد من حيث أتى؟ قرر بينه وبين نفسه، أنه لو حدث شيء مؤسف كهذا فسوف يرسل برقية شديد اللهجة إلى جمال عبدالناصر. ولا شك أنه سيدفع أشد العقوبات على المتسببين. أخيراً، جاء الضابط، وجلس وراء المكتب، وأخذ منه الجواز، أخرج ختماً من الدرج فختم به صفحة من الصفحات. ثم وقع بحبر أخضر. وأعطاه الجواز وهو يقول:

– تأشيرة أسبوعين. جددها في المجمع. وسجل في أقرب قسم للبوليس خلال ثلاثة أيام.

Twitter: @abdullah_1395

انصرف الضابط وتركه في حيرته. المجمّع! ماهو المجمّع؟ وأين يقع؟ وماذا عن التسجيل في قسم البوليس؟ ثم ماذا يسجل؟ نفسه؟ أم جوازه؟ أم تأشيرته؟ خطر بباله أنه من المستحيل أن يكون جمال عبدالناصر على علم بهذه التعقيدات التي تنتظر صغار الناصريين العرب في مطار القاهرة.

ولعل الدكتور غازي ، لم يصل ذروته الفنية في أي قسم من أقسام القصة ، كما وصل في البداية التي رسم لها بدقة متناهية.. فالقاص لا يكشف عن استقرار البطل على هدفه وما أصابه نتيجة ذلك إلا في حوار قصير ، يذكره في الصفحة الأخيرة من القصة.. فيه من التركيز والتكثيف والإشارات الدالة الموحية، ما عجزت عن ايراد مثيله القصة البحرينية في جميع تاريخها القديم والحديث.. بل أننا لم نقرأ ، مثيلاً لهذه الخاتمة فيما قرأنا من أدب قصصي كثير.

أما شدة الحماس الذي قوبلت به هذه القصة إثر صدورها، فيرجع في الأساس إلى تمكن الدكتور غازي ، من تقديم عمل متكامل من الناحية الفنية ، من جهة ، وإلى كونه قد صور في هذه القصة مرحلة هامة في تاريخ العرب الحديث منذ عقد الخمسينيات ، من جهة ثانية.. وذلك من خلال فئة معينة من أفراد المجتمع ، هم الطلبة ، وفي فترة معينة بالذات من حياتهم.. وهي الفترة التي يشهد الشاب فيها بداية تفتحه على الحياة الحقة

Twitter: @abdullah_1395

أثناء غربته، مجتازاً سن مراهقته، وما انطوت عليه بحكم ظروف نشأته البحرينية والبيتية والاجتماعية، الخالية من التعقيدات والأوهام فيكون ما يصادفه في القاهرة، في هذه الفترة من حياته مؤدية، حتماً لما سينتهي إليه أخيراً، من مواقف معينة تصادفه أثناء تحصيله الدراسي، وعلى نحوٍ يحدد مصيره المستقبلي إلى حد بعيد.. ونحن نتابع ذلك منذ بداية سرد الرواية ، فما أن خرج من حجرة الضابط ، حتى ابتلعته الحشود التي تموج وتمور وتدور.. استوقف أحد الذين تبدو عليهم الصفة الرسمية:

- لو سمحت؟ أين أجد أمتعتي؟

- في الجمرك.

ومضى من دون مزيد من الإيضاح.. ثم استوقف أحد الباعة الجائلين وسأله:

- لو سمحت؟ أين أجد الجمرك؟

نظر إليه البائع بدهشة وهو يشير بيده ويقول:

- هناك!

عندما التفت فؤاد أدرك سر الدهشة .. كانت في آخر القاعة لافتة هائلة كتب عليها بحروف ضخمة "الجمرك" عندما وصل إلى الجمرك وجد منصات خشبية تمتد إلى ما لانهاية.. وأمتعة المسافرين مكومة في منتصف القاعة .. يمر المسافر ويحمل حقائبه وهو ينوء بحمل الحقيبة اليدوية ؟ بصعوبة،زحزح الحقائب

Twitter: @abdullah_1395

وأمتعة المسافرين مكومة في منتصف القاعة .. يمر المسافر ويحمل حقائبه وهو ينوء بحمل الحقيبة اليدوية ؟ بصعوبة،زحزح الحقائب الأربع وجمعها في مكان واحد.. ووقف يسترد أنفاسه، ويفكر في كيفية عبور الهوّة التي تمتد بينه وبين المنصة.. أنقذه من ورطته شخص في بدلة رمادية لم تغسل و لم تكو منذ سنتين، يرتدي ابتسامة تطفح بالرضا عن النفس، وعن الكائنات عموماً:

- شيّال يا بيه؟

وبلهفة لم يستطع كتمانها ردّ فؤاد:

- نعم! نعم! رجاءً!

على أية حال، فمن خلال بطل الرواية الرئيسي (فؤاد) الذي يتولى سردها، يحدثنا عن تجربته الخاصة، التي رسمت مصير حياته العلمية، منذ كان يعيش في مدينة المنامة، ومن ثم انتقاله إلى القاهرة، إثر نجاحه في امتحان الثانوية بتفوق، وفي القاهرة يبدأ تفتحه على الحياة الجديدة، تعرف على أصدقائه في سن السادسة، في أول حديقة ، كما كانت السنة الأولى الابتدائية، تسمى وقتها في البحرين.

Twitter: @abdullah_1395

(٦)

عودة القصيبي سائحاً إلى كاليفورنيا

يرتبط عندي شخص الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي، بالألفة عن قرب من خلال إنتاجه الأدبي المتميز، حيث بدأت أقرأ قصائد ديوانه الأول " أشعار من جزائر اللؤلؤ" منذ عام ١٩٦٠ عندما كنت طالباً في السنة الأخيرة بمدرسة المنامة الثانوية للبنين، وكان هذا الشاب قد بدأ يحظى بالاهتمام والتقدير بين جموع الطلاب والطالبات على السواء بحكم تقارب السن بين الشاعر وقارئيه من جهة، وأدلجة أدبه من جهة أخرى، وكنت آنذاك مشدوداً إلى أبيات شعره.. ولكني عندما لمحت وجه الدكتور غازي لأول مرة داخل قاعة المدرسة الثانوية، التي كنت فيها مديراً مساعداً، حينما جاء لمتابعة نتائج سير دراسة إبنه سهيل، فقد وجدته في غاية التواضع والأريحية، بعيداً جداً عن المفاهيم الكبيرة لطبيعة الوجاهة العائلية والوظيفية كان يتحدث بعفوية مع المدرسين ، ويبتسم لهم ، متخلصاً من جميع مظاهر النجمية والافتعال - إن جاز لي التعبير- ولم أشأ أن أحادثه

Twitter: @abdullah_1395

طويلاً، لأنني أعرف أنه يقضي إليّ بما يشغلني عبر كتاباته الواعدة بين الحين والحين.

وهكذا ظللت بعد فترة عملي من وزارة التربية والتعليم أتابع إنتاجه الغزير، فقد أصبح الدكتور غازي بالنسبة إليّ، وأجزم، بالنسبة إلى فئات متباينة في المجتمعات الخليجية والعربية، صدى الصوت الذي يلتقط الهواجس والهموم العربية، وذبذبات ضميرها الحي ، ليصوغها ثانية على إيقاع المستجدات وتوالد اللحظات وتطور الصرعات ، عبر إمكانياته الفكرية المتجددة.

وبذلك تعود القرّاء قراءة ردود فعل الدكتور غازي، وهمه ونبشه سريرة شرنقة المجتمع العربي من أقصاه إلى أقصاه، كما تعودوا قراءة قلقة على أمته ، وجرأته المعهودة في المصارحة والمكاشفة .. وعليه يأتي صوته ليعبر عن جزء ما يشغلنا أو يخامرنا .. نعم، "إن الفن-كما يقول هيغل- لا يوجد من أجل مجموعة صغيرة مغلقة من القلة المنعمة بامتياز الثقافة بل من أجل الأمة بكاملها" وهذا ما حققه الدكتور غازي لأمته العربية في فترة وجيزة نسبياً.

كل ما تقدم كان جولة أفق، كما يقولون، أو ملامسة لأسئلة، " العودة سائحاً إلى كاليفورنيا" .. إذ كنت دائماً أتساءل: كيف ينجح الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي في أن يجعل من اعماله الروائية مرصداً للرأي الخليجي خاصة والعربي

Twitter: @abdullah_1395

عامة.. والجواب، كما يبدو لي الآن، بأن انتاجه الروائي منه بالأخص، أقرب ما يكون إلى بنيان متلاحم متعدد الطوابق، يتمتع بنوع من فن الاتساق المتقن بالرغم من تعدد التيمات والتراكيب السردية واللغوية هنا وهناك.

والتقيته مرة أخرى في معرض سيارات المرسيدس في أثناء إحدى زياراته إلى البحرين، وقدمت نفسي، وأردت أن أستأذنه في تأليف كتاب عنه، فلم تكن الفرصة مواتية لذلك.. ومع ذلك فقد ازدادت الألفة التي شعرت بها أول مرة، رغم أنني لم أسع إلى طلب موعداً للقائه مرة أخرى، لأنني على قناعة تامة أن الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي، لا يخفي شيئاً عندما يكتب.. فكل ما يحسه ويدركه يشاطر قارئه إياه عبر انتاجه الأدبي.. ويكفي جداً أن تلتقيه برهة، وتستمع إليه قليلاً، وأن تختزن ابتسامته المعهودة لتنجذب إلى ابن الجزيرة العربية الأصيل ، الذي، بدون شك تأسرك عوالمه، ورحلته الدائمة إلى أعماق نفس المجتمع الخليجي برمته.. وبذلك قرأت أعماله وألفت كتاب تحت عنوان: "الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي، قطرة ندى بين السعودية والبحرين"، وقد نال هذا الكتاب رواجاً أسعدني تأديته لغايته الأدبية المطلوبة.

هذه المرة وأنا أتهيأ للكتابة عن " العودة سائحاً إلى كاليفورنيا"، أعدت قراءة معظم نصوص رواياته- "شقة

Twitter: @abdullah_1395

الحرية"- و " العصفورية" .. وكنت أفكر في طريقة لا تجعل القارئ لا يحس بالتكرار أو الملل.. فالباحثون والصحفيون - على سبيل المثال- قد حاصروه بكل ما يمكن أن يخطر على البال من بحث وتقص ودراسة ونقد، وأنا لا أستطيع أن أنافسهم أبداً في صنعتهم الأدبية التخصصية، وعليه، فقد خطر على بالي فجأة أن يشارك القرّاء معي في قراءة عودة القصيبي سائحاً إلى كاليفورنيا، وكأننا نقرأها بنوع من الحياد التام، بعيداً عن استجواباتهم وتأويلاتهم وتعليقاتهم ، التي أدلوا بها أو كتبوا عنها- وما أكثرها- على الساحة.

أريد ، صراحة ، أن أغض الطرف عن سمات هؤلاء الأدباء وتقسيماتهم التي ألصقت احيانا كثيرة بنصوص رواياته، من واقعية، وواقعية جديدة متطورة، ورمزية وجدية، إلى غير ذلك عن قراءاتهم المتأثرة بالمناخ العربي الساخن للمعارك السياسية والاجتماعية والنفسية وغيرها، لنتأمل في سطور هذا الكتيب- المكون من ٦٢ صفحة، صادر عن دار الساقي، الطبعة الثانية ١٩٩٧، بيروت، لبنان- بوصفه نسيجاً تحليلياً استوحى الأحداث عن خاطرات هادئة هادفة ، بلغة عربية رصينة مقروءة ، تأخذ في منحاها الواقعية، بدءاً بـ " بين براثن البيروقراطية" وانتهاءً بـ " الدوران في الأماكن القديمة" .

يهدي الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي، كتابه هذا- وهو الأول له بعد تجربة خُمس قرن يزيد قليلاً أو ينقص قليلاً ينقص قليلاً، قد انصرم منذ غادر صاحبنا كاليفورنيا يتأبط

Twitter: @abdullah_1395

شهادة الماجستير" – يهدي هذا المفتتح من الخاطرات " إلى رفاق الطريق" .

خاطرات الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي، هي حصيلة التماس لخليجي مع الحياة الغربية في بعدها الثقافي ، وفي نزوعها إلى تمجيد الإنقطاع عن الأصل.. أراها بأنها ثمرة ناضجة عن البحث للانتماء إلى السمات الشرقية الأصلية ، ولكن هذا الانتماء الذي لا يتحقق في المفهوم الغربي ، يتحول اللجوء إلى لجوءاً إلى حياة غريبة يمكن معاينتها في الحياة الأوروبية والأمريكية.. من هنا نقع على وعي ازدواجي في حين يمكن الوقوع في تأملاته على إيماضات ولمعات أكثر واقعية حيث يقول:

" أما الآن فهو يعود متأبطاً جوازات السفر ووثائق (العفش) ويقود حملة قوامها الزوجة والابنة والأولاد الثلاثة و–صدق أو لا تصدق– الحماة. وها هو ذا يقف بخضوع مصطنع، كعادته أمام كل بيروقراطي يأمر وينهى ، أمام موظف الجوازات."

في موضوع" بين براثن البيروقراطية" يعرض الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي نبذة عن عقلية موظفي الجوازات.. الموظف ينقب في أعماق الجواز كما يبحث علماء الآثار عن حلية فرعونية صغيرة ضائعة في الصحراء.. ويرجع اختياري لأعمال الدكتور غازي الروائية لعدة أسباب موضوعية أهمها:

Twitter: @abdullah_1395

١. الإجماع العربي العام على أن القصيبي قد أصبح من اهم كتاب الرواية ليس في الخليج فحسب بل في بقية أرجاء العالم العربي.. ويقوم هذا الاجماع على عدة معطيات حقيقية ، أرجو أن أحظى بفرصة أخرى أعرضها على القارئ تتضمن حكماً قيمياً من عدد من النقاد والمعتمدين..

٢. أجزم بأنه لم يتأت لأي كاتب روائي خليجي من الرعيل السابق أو اللاحق أن ترك بصماته على كتاب القصة في الخليج غير الدكتور غازي..

٣. يعد الدكتور غازي من الروائيين العرب القلائل الذين كونوا عالماً روائياً رفيع المستوى ، عماده التجانس بين الرؤية والبناء، يقوم على الوحدة المطلقة جمالياً واجتماعياً ومعرفياً. حيث يقول:

– البيروقراطية هي البيروقراطية والتعليمات هي التعليمات حتى في بلاد العم سام. – ثم يستطرد قائلاً– :

عندما كان الموظف يجوس في أحشاء الجوازات خطر ببالي أن هذا الحرص المبالغ فيه لم يمنع بضعة ملايين من جيران الولايات المتحدة من لتسلل إليها والإقامة غير المشروعة في مدنها. ولا زالت مشكلتهم تستعصي على كل الحلول. فليس بالإمكان تجنبهم ، وليس بالإمكان إبعادهم. ولا تزال أعدادهم تتزايد. ومع هذا فموظفو الهجرة يخشون أن يسمحوا بدخول زائر " شرعي" إلا بهذه الشروط المشددة.. فتأمل! "

Twitter: @abdullah_1395

كل من يتابع ممارسة الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي، تكشف له في الحال، أنه لم يتخذ استراتيجية نص أو اثنين جوهريين فقط، يقول فيهما كل ما يخطر على باله، ثم يستريح من عناء التجديد والتطوير.. إنه على العكس من ذلك، حيث اعتمد من الكتابة جسراً ثابتاً بينه وبين العالم، يعبر عليه في رحلة مستمرة ليلتقط الاستيهامات والاستبطانات والهواجس والظواهر الملتصقة داخل دوامة سريعة في حركتها وتجربتها التي لا تهدأ أو تقف عند قرار معين معلوم.. وهذا النمط بالتحديد أتاح الفرصة السانحة لتاريخ التحليل الروائي العربي في العقد الأخير من هذا القرن أن يتنامى بعافية جيدة وتتسع دائرته لاستقبال القرن الحادي والعشرين، عبر أعمال الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي.. فلنقرأ نص (" إدوارد الأول" .. ورصاص في الطريق) :

" (السائق إدوارد - وقد أطلقت عليه لقب " إدوارد الأول" باعتباره أنه من المستحيل ان يكون قد وُجد قبله "إدوارد" آخر يماثله في الغباء ، والبرودة والثرثرة والنحس- بدأ يطرفنا بآخر أنباء لوس أنجلوس:

- هذه الأيام يطلقون الرصاص على السيارات.

قلت لنفسي: " لابد أنني أخطأت الفهم" استوضحت فكرر العبارة.

Twitter: @abdullah_1395

قلت:

- ولكن من هم أولئك الذين يطلقون الرصاص؟ وعلى من؟ ولماذا؟

كان من الخطأ أن أقذف " إدوارد الأول" بكل هذه الأسئلة.

لجأت إلى أسلوب " التقسيط المريح" :

- من الذي يطلق الرصاص؟

- الركاب في السيارات.

- ويطلقونها على من؟

- على الركاب في السيارات الأخرى

- لماذا؟

- من يدري؟ التسلية، أو الكآبة، أو الغضب، أو الزحام الشديد. لا أحد يدري حتى الأطباء والعلماء.

كذلك لم يقصد الدكتور غازي، في خاطرة (أقاصيص "إدوارد الأول") أن يحكي تاريخ نشأة " والت ديزني" بقدر ما كان يسعى إلى التقاط مظاهر الحضارة الإنسانية وإلى رصد زرع ملايين البسمات على وجوه ملايين الأطفال.. ومن هنا نلاحظه دائماً منشغل تماماً بالحاضر، ويحرص على تبين جذوره.. وكأن الماضي لا يهمه بنفس القدر الذي يهمه به الحاضر المؤثر:

(الهدف الذي أضاعه " إدوارد الأول، " ديزني لاند"، هي أشهر مكان في جنوب كاليفورنيا، وربما كانت أشهر مكان في

Twitter: @abdullah_1395

الولايات المتحدة بعد البيت الأبيض. وأحسب أن " ديزني لاند" بالفعل لا تحتاج إلى تعريف ، لا كما يقول عريف الحفل وهو يقدم متكلماً مغموراً يحتاج إلى ألف تعريف. ويكفيها شهرة أن خروتشوف عندما زار الولايات المتحدة كان لديه رجاء واحد أن يزور " ديزني لاند" وقال الأميريكيون "لا ". وبرّروا الرفض باعتبارات أمنية. إلا أنني أظن أن السبب الحقيقي هو رغبة الأمريكيين في " عكننة" مزاج الرفيق وقد كانت الحرب الباردة في أوج غليانها. ومات الرفيق وفي نفسه شيء من " ديزني لاند".)

أما خاطرة " في قبضة الإعلانات"، يمكن اعتبارها بمثابة مرصدٍ يطل منه على ذكريات أيام الدراسة المتناثرة فيحاول أن يستجمع أشلاءها ويوحد رؤيتها: " أيام الدراسة في " لوس أنجلوس" طورنا -زملائي وأنا – عدة استراتيجيات للإفلات من إعلانات التلفزيون:

- منها توقيت زيارة الحمام مع بدء الإعلان (يبدو أن الكثيرين كانوا يفعلون ذلك فقد دلت إحصائية ، وفي أمريكا إحصائيات عن كل شيء، أن منسوب المجاري في مدينة شيكاغو يرتفع مع بدء الاعلانات في محطات لتلفزيون الرئيسية).
- ومنها أن تقفز لأداء واجب منزلي مؤجل بمجرد أن يبدأ الإعلان كغسيل صحن ، أو تنظيف قدر ، أو إنزال كيس القمامة.
- ومنها أن نبدأ الحديث فيما يدور بيننا فور بدء الإعلان فنصبح ، كقردة الحكمة ، لا نبصر الإعلان ولا نسمعه.

Twitter: @abdullah_1395

وعن طريق هذه الحيل وسواها تمكنا من أن نستمتع ببرامج التلفزيون دون أن تقضي الإعلانات كلية على صوابنا. "

وبنوع من التعميم يلاحظ القارئ، أن لغة الرواية لدى الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي، قد بدأت تكتسب سماتها وتضاريسها منذ كتابة " شقة الحرية" وكأنما اكتملت دورتها في " العصفورية" .. بدأت لغته الجميلة مقروءة مفهومة على مستوى تركيب الجمل أو على مستوى التكييف الروائي في التعبير، بطبيعة الحال هذا التحكم في فن اللغة مرتبط بتحكم البناء الشكلي في سرد خاطراته عبر " العودة سائحاً إلى كاليفورنيا" حيث يقول:

" بعد إعلانات لا تنتهي تستغل كلها إغراء الجنس بشكل فاضح مفضوح تأتيك إعلانات تحذر من مغبة الجنس، " غير المأمون" (وما أشد فعالية " الإيدز" في هذا المجال فقد حقق من النقاء الجنسي في سنتين أو ثلاث ما عجز كل الوعاظ والمصلحين والأطباء عن تحقيقه في عشرات السنين).

أرى أن اللغة عند الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي، هي عملية لا شعورية، أي عفوية، يتوخى منها مطابقة الحدث المكتوب .. وأعتقد أنه العنصر الأساسي الذي يوجهه في التعامل مع اللغة.. وقد استطعت أن أتحقق من مثل هذه الانجازات للدكتور غازي، عبر آراء الأدباء فيه للغته، فقد كنت متابعاً لما

Twitter: @abdullah_1395

يكتبه النقاد باستمرار عن رواياته.. ولا شك أنه كانت لديه ولا تزال الرغبة الحقيقية والعفوية في تطوير اللغة التي تعلمها منذ الصبا ، ليجعلها دائماً مطابقة لكل مرحلة جديدة ، ولاشك أنه استفاد بحنكته من الاهتمام الذي حظيت به اللغة في الحقبة الأخيرة سواء في مجال الرواية أو في الشعر ، أو في الأجناس الأدبية الأخرى كالنقد مثلاً.. والآن نقرأ " في أحضان المملكة السحرية" هذا المقطع:

" واحتوانا الزحام. وانتقلنا من مغامرة إلى مغامرة. وعدت صبياً في سن (فارس) و (نجاد). أصدق أن الغواصة هبطت إلى أعماق المحيط، لا مجرد متر أو مترين تحت الماء. أصدق أن الحسناء الواقفة هناك هي، بعينها ، " قطر الندى ". اصدق أن القراصنة سيهجمون، حقاً ، على سفينتنا. اصدق أن مركبتنا الفضائية منطلقة ، حقيقة ، إلى القمر. "

كما أوثر القول بأن استعمال الدكتور غازي القصيبي لمنهج التأمل والتذكر في خاطرة " في قبضة الطوابير" هو نتيجة المعاناة التي تفرضها علينا الحياة العصرية ، فهذه المعاناة دفعته للقول : " ولو وقف المهمون في طوابير لتحسنت الخدمة المدنية عبر الكرة الأرضية بين يوم وليلة .. منذ بضع سنوات ذهب وزير البريد في ألمانيا الغربية إلى مكتب بريد ليشتري طوابع، ووقف مع العامة، هاله ما رأى من وقاحة الموظفين واستهتارهم.

Twitter: @abdullah_1395

فقام على الفور بحملة واسعة استهدفت تعليم الموظفين الأدب عن طريق الكتيبات الإرشادية والملصقات والندوات، وبعض الإجراءات الصارمة ، وأثمرت الحملة. فأورقت وجود موظفو البريد في ألمانيا ، فجأة ، بالبسمات والضحكات . واستعانت بقية الدوائر بالكتيبات التي استخدمت في الحملة . كل هذا لأن وزيراً اشترى الطوابع بنفسه و لم يرسل الفراش. "

وفي خاطرة معنونة: " رعب في الصباح" تنبثق لحظة زمنية تشي بحساسية معينة وتعلن عن منعطف آخر في الكتابة عند الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي.. وهي اللحظة التي تنامت واغتنت عبر عشرات النصوص التي ظهرت " منذ خُمس قرن، يزيد قليلاً أو ينقص قليلاً". حيث يقول: " أفقت مبكراً- فارق التوقيت مرة أخرى- فسمعت صوت التلفزيون يتسلل خافتاً من غرفة الأولاد.. تسللت إليهم بدوري، على طريقة زوار الفجر، لأجدهم متلبسين بمشاهدة فيلم " الرجل الذئب بقابل فرانكشتين"، ونحن " زوجتي وأنا " لا نسمح للأولاد بمشاهدة أفلام الرعب لأنها، علاوة على ما قد تثيره من كوابيس ليلية، كثيراً ما تكون سخيفة سخفاً متناهياً. طلبت من الأولاد تغيير المحطة. ولكنهم صرخوا بصوت واحد (يوحي بوجود خطة طوارئ متفق عليها مسبقاً) :

- بابا! هذه الإجازة!

Twitter: @abdullah_1395

وقررت أن أضع " الندى" موضع " السيف"، فوافقت شريطة ألا يضر ذلك " بالعُلى" أي الانضباط المعتاد بعد انتهاء الإجازة.

وفي "خواطر فلسفية في السمنة" لحظة أخرى أراها لا تتحسر ولا ترثي، بل تسعى جاهدة إلى أن تتوحد بالزمن وأن تستنبطه عبر الأيام الغابرة لتنسج فكراً حقيقياً يبدد وحشة الزمن وربما اغتراب المسافرين، من أجل بلورة فعل خواطر تستجيب لتطلعاتنا الصحية والتفسير الاقتصادي للسمنة.. فقد أصبح " ترهل بشري شديد في كل مكان لم يكن له مثيل في الأيام الغابرة. في زيارتي الأولى لمدينة السحر لم يكن هناك في المكان كله سمين واحد أو سمينة واحدة. أيامها سمعت أستاذاً من أساتذة الاجتماع الامريكيين يقول شبه جاد " إن من شروط القبول غير المكتوبة في جامعة هارفرد إلا يكون الطالب سميناً ". كان ذلك في الماضي. أما الآن فحزب الجميز يكاد يكون حزب الأغلبية المسيطرة" .

تتغذى خواطر " العودة سائحاً إلى كاليفورنيا" بنصوص أخرى مثل " أهوال في الطريق" و " ديناصورات .. ومطبعة خاصة .. وكمبيوتر ينجم" و " في عوالم هوليود الوهمية" و"والآن: أين نذهب؟" وأخيراً " الدوران في الأماكن القديمة"... نعم تتغذى هذه الخواطر بعطاءات هذا المبدع، فتغري القارئ

Twitter: @abdullah_1395

بسحر الأسلوب الذي لا يقاوم، فالمعنى الأول والأخير، لهذا التوجه الأدبي، هو أن غالبية القراء تبحث عن معرفة نوع معين من المعرفة المعاصرة بالتأكيد، ولكنها المعرفة التي تقدمها عقول مبدعة، معرفة من أهم سماتها أنها موصوفة بالأصالة وذات العلاقة بآفاق القارئ العربي وإشكالات حياته في الحضر والسفر، كخواطر "العودة سائحاً إلى كاليفورنيا " .

Twitter: @abdullah_1395

ختام في أسطر

أقول إلى جيلنا الناشيء: بأن الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي ، غني عن التعريف ، فهو شاعر عربي أصيل، بحريني الهوية ، سعودي الجنسية ، عربي البنية والتكوين.. يتجاوز بما أفاء الله عليه من ملكة نظم الشعر وفكر ووجدان ، الحدود القطرية السياسية العربية ، ليحتضن بصدق واخلاص كل زوايا الوطن العربي ، والإنسان العربي ، والقضايا العربية والإسلامية ، إلى جانب القضايا الإنسانية بكل حبٍ وتفانٍ.

بالأمس كان الشاعر طفلاً صغيراً ، ثم شاباً يافعاً.. واليوم رجل سياسة محنك ، يكلف بمسؤوليات جسام.. عرفه الناس وزيراً نزيهاً ، وسفيراً مهندساً للدبلوماسية السعودية.. وهاموا به شاعراً مبدعاً ، ومحاضراً جاداً ، وناقداً متمرساً ، وروائياً متطوراً.. غير أن حقيقة أمره ، هو شاعر مجيد أولاً وأخيراً حملته أجنحة قوافيه إلى " جزيرة اللؤلؤ " ثم تأرجحت به إلى أن نزلت إلى " أغنية حب للبحرين ".. ومن ثم يحلق ثانية على متن قصائد

Twitter: @abdullah_1395

أخرى إلى مدن سعودية يطوف بها على مباهج الهفوف وأبها وجبيل، كنسيج رائع من شغاف الوجدان الحي، وشفافية الروح الحالمة.. وهكذا حتى ينزل في موئل غير قصي.

أقول إلى أبناء اليوم ورواد الغد: هذا هو الدكتور غازي، الذي سجل له التاريخ يتمه الذي عاجله وهو في أشهره الأولى من مهد طفولته، لكنه انتصر على هذا اليتم، وقهر اليأس بشجاعة نادرة، وبروح ساخرة وفكاهة عذبة، وبجهده وبجده، قولاً وعملاً:

أنا ذلك الطفل الغرير
رمته للدنيا الخطوبُ
تركته في صخب الجموع
يكاد يخنقه النحيبُ
أبداً تمر به العيون
تكاد تصرخ : يا غريبُ!
من ذا رماني ريشةً
في الليل تلفظها الدروبُ؟
لا هذه أرضي.. ولا
أهلي لديّ.. ولا حبيبُ

أقول إلى طلاب المرحلة الأساسية وكل قارىء: هذا هو الدكتور غازي، الذي نشَّأ نفسه في دنيا الأدب نشأة عصامية، بدأ

Twitter: @abdullah_1395

فيها بالشعر مبكراً، وكانت بداية حية مترددة، اختفت وراء اسم مستعار، اختاره لنفسه في بداية الطريق.. أقول للجميع، هذه الطريق انتهت به إلى درجة فنية رفيعة، يسجلها له التاريخ بأحرف من نور، وضعته قمة شامخة بين زعماء الشعر العربي وقممه العالية.

وأخيراً أقول للناشئة: إنه أصبح جزءاً مهماً من تاريخ الخليج، وأنه رائد شعره المعاصر، الذي لا يشقُّ له غبارٌ.. فاستحق بصدق وجدارة لقب الريادة.. فهوالذي أنعش الشعر الخليجي، وأعطاه نفحة حياة حين حقق ثورة التجديد والتطور، ومع ذلك فقد أعادنا إلى تذوق عهد العباسيين، إلى أبي تمام، والمتنبي، والبحتري، وأبي فراس، وبشار.. و لم يقف جهده عند هذه الريادة في أسلوب الشعر، بل ارتفع به عن الزلفى والاستعطاء والتكدي، وعن المعاني والكلمات المبتذلة والرخيصة والهابطة.. وركز جل اهتمامه على تصوير مشاعره النفسية، وتجاربه الإنسانية ، وما ينفعل به من تأثر بالطبيعة والحنين إلى الوطن وما يتصل بعواطفه في الاغتراب والحب.. وهو الذي عبرّ عن جراح أمته العربية وآلامها ، كما عبر عن أمانيها وآمالها.. وبذلك نقل الشعر العربي الخليجي، في أسلوبه المميز، ومضمونه الواضح، نقلة مباركة بعيدة المدى وكبيرة الأثرى ، فتخطى بحنكته حدود الخليج.. وبذلك أصبح لنا القدوة الحسنة في حياتنا العملية.

رقم الإيداع ٢٢٢٢ د.ع / ٩٧م

Twitter: @abdullah_1395

أدباء خليجيون متميزون

د. غازي القصيبي

إن تاريخنا في الخليج مليء بالأدباء المتميزين، الذين مجدهم العلماء والفلاسفة العرب، فأصبح لهم أكبر الفضل على الثقافة العربيّة الخليجية، ومن هؤلاء شاعر العروبة إبراهيم العريّض، والدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي، وإبراهيم بن محمد الخليفة، والدكتور محمد جابر الأنصاري، وعبد اللّه الزايد، وعبد اللّه الفرج، وعبد اللّه الطائي، وغيرهم... والعبقرية ليست مقصورة على الرجال، فهناك عددٌ غير قليل من النساء الخليجيات العبقريات أمثال الدكتورة سعاد الصباح، وسلوى المؤيد وغيرهما.

نحن نقدم سلسلة « أدباء خليجيون متميزون » سجلاً تاريخيّاً لهؤلاء العظماء، ونخصص كل كتاب من هذه السلسلة لسرد حياة أحدهم بمفرده. وذلك في أسلوب تاريخي مختصر مشوق، وقد اعتُمدَ في كتابتها على أدق المصادر المعتمدة وأوفاها لكي يُجعَلَ من هذه السلسلة تحفة ثقافية حافلة بأهم المعلومات عن حياة هؤلاء الرواد، كما رُوعي في عملية التدوين أن تلائم القدرات العلمية والأدبية لمحمل جيلنا الصاعد، على اختلاف مراحل دراسته؛ لتكون خير عون له ليشق على هديها طريقه في نهج حياته المستقبلية الزاهرة.

المؤلّف

التوزيع في البحرين: المكتبة الوطنية

منشورات 98

لا !!

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

بيروت، ساقية الجنزير، بناية برج الكارلتون، ص.ب: ٥٤٦٠-١١
العنوان البرقي: موكيالي
هاتفاكس: ٨٠٧٩٠٠ / ٨٠٧٩٠١